ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.com

The importance of trade in the Umayyad era

.M. Nada Zidan Behind Sharar

Directorate of Education Salah Eddin / Department of Tikrit

A B S T R A C T

The Arab studies concerned the political aspects and did not receive much attention in clarifying the economic and social aspects, because of the importance of the economic side and its impact on the political aspects and the fact that trade is the main nerve in moving the Arab Islamic economy so I wanted to shed light on some of the activity of Arab Muslim traders in the Umayyad era because this The era began a new stage in economic growth, and flourished trade in an age when scientific developments accelerated and expanded knowledge and multi-media

© 2018 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.25.2018.05

***Keywords*:**
Commercial Establishments in Iraq
Commercial establishments in the Levant in the Umayyad era

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 10 Jun. 2016
Accepted 22 January 2016
Available online 05 xxx 2016

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

اهمية التجارة في العصر الاموي

م.م. ندى زيدان خلف شرار / مديرية تربية صلاح الدين / قسم تكريت

الخلاصة

اهتمت الدراسات العربية بالجوانب السياسية ولم تلقى اهتمام واسع في توضيح الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، ونظراً لاهمية الجانب الاقتصادي واثره على الجوانب السياسية ولكون التجارة تعد العصب الرئيس في تحريك الاقتصاد العربي الاسلامي لذا اردت ان اسلط الضوء على جانب من نشاط التجار العرب المسلمين في العصر الاموي لان بهذا العصر بدأت مرحلة جديدة في النمو الاقتصادي، وازدهرت التجارة في عصر تسارعت فيه التطورات العلمية واتسعت رقعة المعرفة وتعددت وسائل العلم، وبات فيه التنافس ضرورة ومنهج للوصول الى افضل الكتابات التي تعتمد على الحقائق ومجاراة

* *Corresponding author: E-mail* : adxxxx@tu.edu.iq

المتسابقين في ميدان الكتابة التاريخية، بات لزاماً على مؤرخينا من الاهتمام بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية لانها الوجه الامثل لحضارة الامة، والتي لم تحظى بنصيب وافر من الدراسة كما حظيت به الجوانب السياسية في تاريخنا العربي لهذا تم اختيار موضوع البحث لتسليط الضوء على تطوير حاجات المجتمع في هذا العصر وسنوضح اهتمام الدولة الاموية بالمراكز التجارية التي تعد التجارة فيها عنصراً اساسياً من خلال الاستقرار السياسي اذ سمي عام السلام الخليفة معاوية بن ابي سفيان بعام الجماعة فتوسعت الفتوحات وساد الاستقرار ونما النشاط الاقتصادي وازدهرت التجارة وتنوعت السلع لتلبي حاجات المجتمع الجديد لذا اصبح اهتمام الخلفاء الامويين بالمراكز التجارية امرا حتمياً وقد تم تقسيم البحث الى عدة مطالب تناول المطلب الاول التجارة لغة واصطلاحا فضلا عن النشاط التجاري في العصر الاموي وفق التقسيمات للامصار الاسلامية ففي العراق كانت البصرة، الكوفة، واسط، الموصل من المدن المهمة التي سيتم توضيح بعض نماذج هذه الامصار ونشاطاتها التجارية واهتم المطلب الثاني بالنشاط التجاري في بلاد الشام اذ يعد هذا النشاط نموذجا للنشاطات التجارية في بلاد العاصمة فضلا عن المنشآت التجارية في مصر والمطلب الثالث تطرق الى اهمية التجارة الخارجية للدولة الاموية ثم الخاتمة وقائمة المصادر.

ارجو ان اكون قد وفقت في الالمام بجوانب الموضوع لتبصر القارئ والباحث على دور العرب المسلمين في هذا المضمار والذي اوضح نشاط التجارة ومراكز نشاطها ودور الامويين في توفير السلع والخدمات الذي اسهم في استقرار الاوضاع السياسية وانتعاش الجانب المعاشي للفرد والمجتمع.

ومن الله التوفيق...

المبحث الاول

التجارة في العصر الاموي

التجارة لغة

من تجر، يتجر، تجرا، تجارة، والرجل تاجر والجمع تجار، والتاجر هو الذي يبيع ويشتري ويجلب المال لغرض الربح ومعناها في اللغة، الحاذق او المدلك اي ان الذي له سعة اطلاع ومعرفة عميقة بالسلع واسعارها ونوعيتها ومدى حاجة المستهلك لها[i]. ويسمى الوسيط الذي يتمم عملية البيع والشراء (التاجر) وكانت تطلق تسمية التاجر على بائع الخمر وذلك لان التجار الذي اتصل بهم العرب قبل الاسلام كانوا يتاجرون ببيع الخمر وبمرور الزمن اطلقت التسمية على كل من اتخذ مهنة الوسيط في البيع والشراء اسم التاجر[ii].

التجارة اصطلاحاً:

فهي تنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء، اي كان نوع تلك السلع وان المال الناتج عن البيع والشراء يسمى ربحاً، وقد اشير اليه بكلمتين مشتراه بالرخيض وبيعها بالغالي فقد حصلت لك التجارة وهي عملية البيع والشراء لتوفيق الربح بالاموال ولغرض ضمان الربح وعدم تعرض السلع المستوردة للكساد[iii].

ويشير ابن خلدون[iv].الى ان التاجر البصير هو الذي ينقل السلع ذات الحاجة الماسة لعامة الناس وخاصتهم كي يضمن عملية بيعها وبربح مضمون، اما اذا كانت البضائع تخص شريحة معينة من الناس فقد تتعرض للكساد وتعرضه للخسارة. وضرورة ان تكون للتاجر خبرة واسعة بحاجة السوق ونوع البضاعة وصلاحيتها وحاجة الفرد والمجتمع لها ولذلك يصف التاجر بالبصير ويحرص على وصولها الى السوق في اوقات محددة حتى يضمن بيعها وتحقيق الربح منها والا تعرضت بضاعته للخسارة[v].

التجارة عند العرب

مارس العرب منذ القدم مهنة التجارة واستثمروا رؤوس اموالهم فيها وحققت لهم مردودات مالية مربحة جراء تجولهم في البلدان المجاورة فهم يحملون البضاعة في كفة والخبرة في كفة اخرى فضلاً عن حسن التعامل وانتقاء البضاعة ذات المساس بمتطلبات الحياة اليومية[vi] ومما شجع على رواج التجارة موقع شبه جزيرة العرب الذي احتل مكانة مرموقة لاسيما فهو ينفتح على اليمن والعراق وفارس وبلاد الشام ومصر[vii] ويطل على مياه شط العرب والبحر الاحمر والخليج العربي وخليج عدن[viii].ومما لا شك فيه ان هذا الموقع له اثر فعال في تنمية التجارة وبروز دور التاجر العربي بشكل فاعل ومؤثر في السوق العالمية والحصول على السلع والمواد الخام والمعادن التي يحتاجونها في اسواقهم وتصدير الفائض عبر الطرق البرية والبحرية التي سلكتها تجارة العرب[ix] وقد ظهر ذلك في موروث الادب العربي في وصف الاحوال الاقتصادية واهتمام العرب بالتجارة من خلال وصف المناطق والبلدان التي زاروها والترحال مع القوافل التجارية طلباً للرزق وحبا في جمع الاموال والتخلص من الفقر والابتعاد عنها وقد وصف الشاعر[x]. النابغة الشيباني بقوله:

ذريني للفتى اسعى فاني رايت الناس شرهم الفقير

ويمدح شاعر اخر الرجل الذي يكثر الترحال والسفر في طلب الرزق وينشط في التعامل التجاري ويذم الكسول المتقاعس في عمله وملازمة بيته فيقول له

شتى مطالبه بعيد همه جواب اوجية برود المضطجع[xi].

وقال اعرابي:

زيادة شيء تحلق النفس بالمنى وبعض الغلاء في تجارة اربح[xii].

وكان لقريش باع طويل لاسيما مع الشام مما جعلهم حريصين على عقد اتفاقيات مع القبائل والقوى السياسية المؤثرة في عصرهم وبالاخص القبائل التي تسكن على الطرق التجارية المؤدية الى مكة لتأمين سير القوافل التجارية فاصبحوا امنين في تجارتهم[xiii] استمر العمل بتأمين الطرق حتى ظهر اصحاب الايلاف وكان على رأسهم هشام بن عبد مناف الذي كان يتاجر مع اهل الشام وعبد شمس يتاجر مع اهل الحبشة وعبد المطلب يتاجر مع اهل اليمن ونوفل بن عبد مناف يتاجر مع اهل

العراق وبفضل هذه الاتفاقيات نشطت الحركة التجارية مع بلاد فارس والروم والممالك الاخرى فالفوا الرحلتين في الشتاء الى اليمن والحبشة والعراق وفي الصيف الى الشام[xiv] وقد ورد ذكر هذه الرحلات في القرآن الكريم ((**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ**))[xv] ولضمان سير العملية التجارية فهذا عروة بن مسعود الذي كان رئيس وفد مشركي قريش في صلح الحديبية نقض الصلح وقال لقريش بعد رجوعه من رحلة تجارية: (اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه واني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد (ﷺ) في اصحابه) [xvi] نستنتج من هذا النص مدى سعة التعامل التجاري التي يتمتع بها التاجر العربي.

موقف الاسلام من التجارة

وردت لفظة التجارة في القران الكريم مرات عديدة بالنص وفي ايات اخرى بالمعنى والشرح؛ جميعها تدل على تهذيب سلوك التاجر وحسن تعامله مع الناس واخرى تؤكد على تقييد التاجر المسلم بضبط الاوزان والمكاييل حتى لا تلقى ضررا بالناس في تعاملاتهم فيربح بعضهم على حساب الاخر وقد خصت الاية القرآنية ذلك بقوله تعالى: ((**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ**))[xvii] وقوله تعالى ((**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**))[xviii] ونهى الاسلام عن احتكار البضائع التجارية والتلاعب بقوت الناس سعياً وراء الربح الفاحش واوجب اتخاذ اشد العقوبات القانونية بحق المحتكرين لحماية الفرد والمجتمع من الازمات الاقتصادية الناجمة ففي عهد الخلافة الراشدة قام الخليفة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) بحرق السلع المحتكرة[xix] كعقوبة رادعة لمعاقبة المحتكرين والحد من ظاهرة الاحتكار فقد كانت التجارة في شبه جزيرة العرب تجري بشكل منتظم لقوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**)[xx].

وكذلك قوله تعالى (**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**) [xxi]. يخاطب الله سبحانه وتعالى المسلمين عامة واهل مكة خاصة ويحثهم على طاعة الله ورسوله وجهاد في سبيله وان قدسية الجهاد واهميته واجبة ويحذرهم من تركه وسعي وراء التجارة وخشية كسادها نتيجة انشغال المسلمين بالفتوحات[xxii].

النشاط التجاري في العصر الاسلامي

كان لموقع شبه جزيرة العرب الجغرافي دور كبير ومؤثر في حركة التجارة العالمية اذ يطل على العالم الخارجي براً وبحراً من خلال طريقين احدهما غربي يصل اليمن ببلاد الشام وسلع الشام تصل الى اليمن ماراً بالحجاز ناقلا بضائع اليمن والحبشة والهند الى بلاد الشام ومنها تصدر بعد وصولها اليمن والحبشة والهند عن طريق البحر وكانت صعوبة الملاحة في البحر الاحمر سبباً في تفضيل التجارة عن طريق البر بين اليمن والشام[xxiii] اما الطريق الثاني فهو شرقي يصل راس الجنوب الشرقي لشبه جزيرة العرب بالعراق وتنقل عبره سلع اليمن والهند براً نحو بلاد الرافدين ثم تستمر الى بلاد الشام[xxiv] وتشير المصادر ان الحج فرصة جيدة للتجارة بين المسلمين عامة وقريش خاصة في ممارستها لما يوفره موسم الحج من رواج لتصريف بضائعهم في اسواق تعود الى اهلها الارباح الوفيرة؛ وقد اسهمت الفتوحات في العصر الاموي (41-132ه-655-745م) في ضم مناطق كبيرة كانت اصلاً تابعة للامبراطورية الفارسية والبيزنطية الى حظيرة الدولة العربية الاسلامية فاصبح نفوذ الدولة الاموية على البحر الاحمر والبحر المتوسط وبحر العرب والمحيط الهندي والخليج العربي وهي بحار ومحيطات استقطبت جميع خطوط الملاحة البحرية التي تربط الشرق بالغرب فضلاً عن هيمنتها على الطرق البرية الممتدة عبر الجزيرة العربية والجزيرة الفراتية باتجاه مصر وبلاد الشام؛ والعراق باتجاه بلاد فارس[xxv].

وبعد ان استقرت الدولة الاموية اتجه جهود الخلفاء الامويين نحو الجوانب الاقتصادية فقد اهتموا بالزراعة واصلاح الاراضي وحفر القنوات وتطهير الانهار فتوسعت ملكية الاراضي وزاد منتوجها واصبح هناك فائض في كثير من السلع التي هي بحاجة الى تصدير فضلاً عن زيادة القدرة الشرائية لدى الفرد كان له الاثر في ازدياد الطلب على السلع[xxvi].

ان تباين مقادير الانتاج كماً ونوعاً كان نتيجة لتباين الظروف المناخية من حيث نوعية التربة والمناخ ووفرة المياه من منطقة الى اخرى فتتوفر في اقليم وتشح في اقليم اخر. مما اسهم في قيام التجارة بنقل هذه البضائع وسد حاجة الناس منها ومن ثم الحصول على الارباح وخير من عبر عنها ابن الفقيه بقوله: (ولولا ان الله عز وجل خص بلطفه كل بلد من البلدان واعطى كل اقليم من الاقاليم بشيء غيره لبطلت التجارات وذهبت الصناعات ولما تغرب احد ولا سافر رجل ولتركوا التهادي والشراء والبيع والاخذ والعطاء الا ان الله عز وجل اعطى كل في كل حين نوعاً من الخيرات ومن اخرين ليسافر الى هذا بلد هذا ويستمتع قوماً بامتعة قوم ليعتدلوا القسم)[xxvii].

ان هذا الاستقرار وتنامي حاجة الناس لسلع بعد ان تحسنت الحالة المعاشية وتوفر الامن وتأمين طرق المواصلات ووجود الثروات الزراعية والصناعية كان حافزاً وراء تطور التجارة وازدهارها[xxviii]. يبدو ان المراكز المهمة مثل العراق كان موقعها الجغرافي ملتقى طرق المواصلات البرية والبحرية الاثر الكبير في توسيع النشاط التجاري بين الشرق والغرب[xxix].

النشاط التجاري في العصر الاموي

منذ بداية الفتح الاسلامي اهتم العرب بتسهيل امور التجارة، وبقيام الدولة الاموية (41-132ه/661-749م) بدأت مرحلة جديدة ظهرت بشكل اكثر وضوح على النشاط التجاري استجابة لتوسيع اعمال الامصار وتطوير حاجات المجتمع[xxx] وقد اظهرت الدولة الاموية اهتمامها بالمراكز التجارية وكانت حسبما هو معروف عنصراً اساسيا من عناصر الحياة الاقتصادية اعطى الامويون جل اهتمامهم بالتجارة الداخلية والخارجية على حد سواء وسنبحث الموضوع على وفق التقسيم الجغرافي

لاقاليم الدولة.

المنشآت التجارية في العراق

1- البصرة:-

كان واضحاً الموقع الاستراتيجي للبصرة لانه هو السبب في ازدهار التجارة فيها لذلك نشطت في العراق خلال العصر الاموي وعرف اهل العراق انواع التجارات ومستلزماتها من اسواق ومصارف ومحطات تجارية وتكاتفت عدة عوامل ادت الى نهضة التجارة الداخلية مثل بناء الاسواق وتشييد الجسور والطرق فقد كان الولاة الامويين يعفون الاراضي التي تقام عليها الحوانيت من الخراج وتحويل الاراضي الخراجية التي ليس لها صاحب الى اسواق ويعفونها من الخراج[xxxi] ففي خلافة معاوية بن ابي سفيان (41ه/661م) كانت البصرة اعظم مركز التجارة الداخلية في العراق وقد وصفت (بانها مدينة الدنيا ومعدن تجارتها واموالها)[xxxii] والمعروف ان للاسواق تأثير كبير في النواحي الاقتصادية والاجتماعية فضلاً عن السياسية لانها ابرز ميادين التجارة لتصريف البضائع وقد استشار المقدسي البشاري[xxxiii].(ان الاسواق في البصرة ثلاثة الكلأ على النهر والسوق الكبير وسوق باب الجامع) كلها بنيت في عهد الامويين ويرجع الفضل في تنظيم تجارة الاسواق في عقد الامويين للوالي عبد الله بن عامر بن كريز[xxxiv] ثم توسعت التجارة بعد ان توسعت الاسواق وان كثير من الولات الامويين احتفر نهره في البصرة وجعل موائئه حوانيت ونقل التجارات اليها[xxxv] وبعد وفاة يزيد بن معاوية سنة (62ه/681م) اشتد خطر الخوارج على السفن التجارية واخذوا يهددونها[xxxvi] وتعد البصرة المدخل التجاري البحري القادم من الشرق عن طريق الخليج العربي ومخطاً للقوافل القادمة من الصحراء لذلك اصبحت البصرة مركزاً تجارياً مهما تمر بها القوافل[xxxvii] واصبح المربد في العصر الاموي من اعظم المراكز التجارية بشروطها المتكاملة من حيث البنية لاسيما عمليات البيع والشراء يسمى هذا المركز التجاري مربد التمر[xxxviii] والظاهر ان المركز التجاري في البصرة الذي انشاه الامويين كان يحتكر جزءاً كبيراً في تصريف البضائع في البيع والشراء بين جزيرة العرب والعراق وفارس[xxxix] الا ان هذا المركز اضطرب بعد ان اشتد خطر الخوارج وقطعوا الطريق واصبح خطرهم يهدد مناطق ومراكز التجارة في الخليج ويؤكد ذلك الخطر قول المهلب بن ابي صفرة لتجار البصرة وهو يحرضهم لقتال الخوارج ((ان تجارتكم كسدت عليكم بانقطاع موارد الاحواز وفارس عنكم فهلموا وبايعوني واخرجوا ما اوفكم ان شاء الله حقكم)) [xl].

وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86ه/685-705م) امر الحجاج بن يوسف الثقفي وفي اثناء ولايته على البصرة ببناء اسطول تجاري يتألف من عدة سفن تسير في عرض البحر[xli] لتفرض الامن والسلامة التجارية في البحر ولنقل التجارات بين منطقة واخرى[xlii] واهتم الخليفة عبد الملك باقامة المسالح[xliii] وتنظيم طرق المربد وتحديدها وتثبيتها ببناء الاميال بوضع علامات الدلالة التي كانت توضع لمعرفة المسافات اذ توضح لكل ميل حجر كبير في الطرقات والمسالك كعلامات لتعيين سير الطريق[xliv] ثم بنى الحجاج المنارات على المناطق المرتفعة لغرض نقل الاشارات بالدخان[xlv] لقد ابدى الخليفة عبد الملك اهتمام واسع ببناء المراكز التجارية على الطرق التجارية بعد ان رافق هذا الاهتمام فقد انشأوا فنادق للتجار والغرباء على السواحل التي كانت اشبه ما يكون بالاسواق الكبيرة والمراكز التجارية وكانوا يضعون بضاعتهم وينامون في اعلاها ويقفلون غرفهم باقفال رومية[xlvi]وفي عهد الوليد بن عبد الملك (86-96ه/705-715م) نشطت التجارة نشاطاً ملحوظاً وادى هذا النشاط الى هجرة الفلاحين ارضهم وقراهم واقبلوا على مدن العراق ينهلون من منابع الثروة التجارية مما ادى الى تهديد الثروة الزراعية وهي عماد من الاعمدة التي تقوم عليها التجارة فعمد الحجاج بن يوسف الى ارجاعهم بالقوة الى قراهم[xlvii]كانت البصرة ميناء العراق التجاري لانه يتصل بجميع مدن العراق لاسيما الطرق النهرية العديدة في البصرة الذي جلب له غلات المدن المجاورة كما كانت منزل الاعراب في طريقهم الى البادية حيث يتزودون بما يحتاجونه وقد كان التمر ابرز انواع التبادل التجاري فقد انشأ سوق التمارين في البصرة وهو اول مركز تجاري بني فيها خلال العصر الاموي[xlviii].ان موقع البصرة على نهر دجلة والبحر كان سببا في نشاط تجارة الاسماك فقد كانت الدولة تؤجر بعض البحيرات واجزاء البطائح للاهالي لاستخراج الاسماك[xlix] وهذا يدلل على ان البصرة كانت تمتاز بنشاطات تجارية متعددة فقد تميزت البصرة باستخراج الحلي والعنبر من الماء وبيعه باعلى الاثمان[l] وان ما يشير الى تعدد البضائع والتجارات بالبصرة ما ذكره احد ابنائها في حضرة الخليفة هشام بن عبد الملك فقال ((ونحن اكثر الناس ساجاً وعاجاً وديباجاً وبرذوناً هملاجاً وجارية مغناجاً)) [li].

نستنتج ان التجارات في مدينة البصرة في عهد الخلافة الاموية كانت تمتاز بحيوية فائقة قدرت تلك التجارات بملايين الدنانير الذهبية والدراهم الفضية آنذاك والدليل اقبال اهل البصرة على بناء منازلهم من الساج ورواج تجارته[lii].

2- الكوفة:

تعد الكوفة واحدة من المراكز التجارية المهمة في العراق خلال العصر الاموي وذلك لوقوعها على طرق التجارة البرية والنهرية فضلاً عن كونها من مراكز الادارة الرئيسية في العراق وتوسطها اراضي السواد التي اشتهرت بتجارات متميزة لا سيما تجارة الزيوت المستخرجة من السمسم او التمر وبذور الكتان والقطن[liii] وكان للزياتين مركزا تجارياً قرب قصر الامارة في الكوفة[liv]. وكان التمر عنصراً هاماً في تجارة اهل السواد ولاسيما الكوفة اذ كان للتمارين مركزاً تجارياً مهما في الكوفة يسمى سوق التمارين وكانت الكوفة تصدر لسائر مدن الامصار ومدن العراق المجاورة الوشي والخزر والفاكهة والادهان[lv].

وتفيد المصادر ان الخليفة معاوية بن ابي سفيان دعم التجارة في مدينة الكوفة وذلك من خلال بناء المراكز التجارية والاسواق في عهد الوالي زياد بن ابية اذ ارسل الوالي خالد بن عرفطة[lvi]. الى هناك عندما كان هو في البصرة ليقوم ببناء الاسواق التي تعد من الاعمال التجديدية الواسعة في الكوفة سنة (51ه/670م) كما انشأ زياد بن ابية مسناة في الكوفة لحماية اسواقها التجارية اذ انتشرت الاسواق التجارية على جانبيها[lvii].

وانشأت الاسواق التجارية لاصحاب صياغة الذهب والصياغ[lviii] وسوق لاصحاب الخز وسوق لباعة الازهار واسواق

اخرى متعددة لشتى انواع البضائع وقد احتوت هذه الاسواق على خانات ومخازن لحفظ الاغذية والتجارات وكان بها حظائر لايواء الحيوانات ومبيت لاصحاب التجارات والتجار الغرباء[lix].

وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك اهتم ببناء المراكز التجارية الى الحد الذي جعله يتدخل شخصياً بالرقابة عليها فقد ذكر انه كان يامر ولاته ان يمروا ببقال فيساله عن حزمة البقل[lx] واستمر الاهتمام ببناء المراكز التجارية في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك (96-99ه/715-719م) فقد امر ببناء المراكز التجارية على طول الطرق التجارية التي تربط العاصمة بالاقاليم الاخرى لاسيما الامصار المهمة والمجاور لها اذ امر التجار بممارسة مهنة التجارة وسمح بانتقال التجارة بسهولة بين الامصار وعاقب الولاة المسيئين للتجار وجعل لهم منشورا بذلك[lxi]. وضاف الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز (99-101ه/719-723م) خانات على جوانب الطرق التجارية وانشا اماكن للدواب من خيل وجمال وقام باصلاح الطرق التجارية واعداد الخانات لابناء السبيل الذين يعملون في حماية القوافل التجارية القادمة من الامصار وجعل حماية تلك الخانات واشرافها من مسؤولية صاحب البريد[lxii]. وامر الخليفة عمر ان تبنى المسالح على الطرق وامر عماله وولاته بادامتها وتقديم الخدمات فيها ورفع مرتبات القائمين على تلك المحطات التجارية والخانات حتى وصل راتب العامل فيها ثلاثمائة دينار[lxiii].كما امر الخليفة عمر بن عبد العزيز ببناء محطات لمراكز تجارية مزودة بدار للغرباء واخرى للاسر ومواضع لاسطبلات الخيول وبنيت بجانبها الحمامات[lxiv]. وتعد هذه المحطات اماكن استراحة للقوافل التجارية القادمة من الامصار البعيدة الى العراق ويشرف على هذه المحطات عمال الامصار[lxv].

وبمرور الايام تكونت في هذه المحطات طبقة من التجار تمتلك اموالاً طائلة لتصبح فيما بعد هذه الطبقة تمتلك هذه المحطات في الغالب على طول امتداد الطرق التجارية والقوافل المارة عبرها كونها مراكز ثابتة[lxvi] وهذا ما شجع اصحاب الاموال ان يستثمروا عملية بناء المركز التجارية في اعمالهم التجارية والدليل انهم اندفعوا في احياء الكثير من المراكز التجارية التي اندثرت لاغراض تجارية[lxvii].

وفي عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك (101-105ه/719-723م) اتضحت بناء بالمحطات التجارية بشكل اوسع عن ذي قبل فقد امر واليه عمر بن هبيرة الفزاري بانشاء المحطات التجارية والاهتمام بها لا سيما في حفر الابار وبناء المراكز الخدمية للتجار[lxviii].وفي خلافة هشام بن عبد الملك (105-125ه/723-742م) كانت المراكز التجارية اكثر وضوحاً حيث تمتد من القصر والمسجد الى دار لقلائين ثم الى دور ثقيف واشجع عليها ظلال وبواري وبقيت هذه المراكز التجارية ناشطة الى ايام خالد بن عبد الله القسري فانه بنى الاسواق وجعل لكل باعة داراً وطاقاً وجعل غلالها للجند[lxix].ويشير البلاذري الى ان الاسواق قد ازدهرت في عهد القسري والتي تقع بين قصر ابي هبيرة الى موضع يقال له سوق اسد غرب الفرات ثم سوق اسد الى الكوفة فهي قرى عامرة متصلة فيها اخلاط من العرب والعجم[lxx] ويضيف البلاذري ان خالد بن عبد الله القسري قام ببناء حوانيت في مدينة الكوفة وجعل سقفها معقوداً بالاجر والجص واتخذ اخوه اسد بن عبد الله القسري القرية المعروفة بسوق اسد ثم بنى فيها اسواق ونقل الناس اليها[lxxi].حيث كان الوالي ينظر الى هذه المراكز التجارية والاسواق جزء من نشوء المدينة لاكتمالها وهذا الامر دفع الخليفة هشام بن عبد الملك لتاجير الاراضي لغرض قيام المراكز التجارية والاسواق العامة بناؤها لتستمر هذه العملية طيلة فترة خلافته[lxxii].

وقد رافقت بناء المراكز التجارية استصلاح الكثير من الاراضي الزراعية في سواد العراق الامر الذي ادى الى ازدهار الاسواق وانتشارها باعداد كبيرة فنظمت وحددت وجعل الوالي خالد بن عبد الله القسري سقوفها ازاجاً معقودة بالاجر والجص[lxxiii].

ولم يكن انشاء المراكز التجارية والاسواق من ابتداع الامويين بل كان معروفا عند الامم السالفة اذ قام الامويون بتطوير هذه الاسواق وتنظيمها[lxxiv].

وفي عهد الخليفة هشام ظهرت في الكوفة اسواق متعددة منها سوق الكتب وسوق العطارين الذين يبيعون الادوية النباتية والعطور واسواق الاقمشة واسواق البزازين واسواق الاغذية على اختلاف انواعها ثم اسواق بيع الخيل واسواق بيع العلف والجلود[lxxv] وبنى الوالي يوسف بن عمر سنة (120ه/737م) في عهد الخليفة هشام سوق الحيرة وسمي سوق عمر[lxxvi] نستنتج ان هذه السياسة التي انتجها الامويون في بناء المراكز التجارية تنم عن امتلاكهم معرفة وكفاءة بالتجارة.

3- واسط

بعد ان قام الحجاج ببناء مدينة واسط سنة (84ه/703م) وانتقاله اليها اذ جعلها عاصمة ادارية للعراق والمشرق، وامر ان تبنى عدة مراكز تجارية واسواق ابرزها المحيطة بقصره فضلاً عن سوق الحديدين تحيط بالقصر من ناحية بينما تحيط سوق البزازين من الناحية الاخرى[lxxvii].

ففي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان بنى المركز التجاري قرب مدينة النيل اذ اشرف عليها الحجاج بن يوسف الثقفي وبنيت على فرع دجلة الذي سمي (النيل بارض السواد) والذي يصل دجلة بالفرات، وحرص الحجاج بن يوسف على انتقاء اعضاء الجهاز الاداري للمراكز التجاري كما حرص ان يكونوا من ذوي الكفاءة والامنة[lxxviii] من خلال فتح المحطات التجارية وجعل لها اسواق وخانات متخصصة[lxxix].يبدو ان الحجاج اراد ان يكون بناء المراكز التجارية جزء من بناء المدينة التجارية التي كان الغرض منها تجارياً وامنيا لحماية القوافل القادمة لمدينة واسط اذ تميز دورها في هذا الشأن من خلال توزيع المراكز على اسواق واسط وفقاً للحرف والمهنة التي نشطت فيها اذ انزل اصحاب الطعام والبزازين والصيارفة والعطارين في الجهة اليمنى من المدينة كما انزل الكثير من الباعة في الجهة الاخرى من السوق[lxxx].

ووصفت اسواق واسط في عصر الحجاج بانها عبارة عن صف من المحلات التجارية المتخصصة في بضاعتها[lxxxi] مثل سوق المعادن التي ضمت سوق الذهب والفضة وسوق الصفارين يقابلها بالجانب الاخر سوق الوراقين وسوق البزازين وسوق الحرير[lxxxii].نستنتج من هذه المعلومات ان المراكز التجارية كانت ذات ابعاد واهداف متعددة بعد ان كانت تجارة مدينة واسط في اوج عظمتها مع المشرق على الرغم من الحروب الكثيرة التي كانت قائمة آنذاك مع الخوارج.

4- الموصل

ولي الخليفة عبد الملك بن مروان ابنه سعيد ولاية الموصل فبنى المركز التجاري داخل سور المدينة وادخل الاسواق معها وفرشها بالحجارة[lxxxiii] اذ تشير المصادر ان في مدينة الموصل ثلاثة اسواق هي سوق القتابين والشعارين وسوق الاربعاء[lxxxiv].

وبعد وفاة سعيد بن عبد الملك عين الوليد بن تليد على ولاية الموصل فبنى الاسواق وفرشها بالحجارة[lxxxv] ثم تولى الحر بن يوسف ولاية الموصل فبنى المراكز التجارية الى الغرب من جسر المدينة[lxxxvi] اذ كانت تلك المراكز اماكن للتبادل التجاري ففتحت الاسواق فيها وبها تعقد صفقات التجار فضلا عن انها اسواق بيع وشراء وفيها يجري تصريف الانتاج الزراعي والتبادل الصناعي[lxxxvii].

وعلى الرغم من ان هذه المراكز التجارية كانت للتبادل التجاري النقدي الا ان الجانب الاجتماعي والفكري كان حاضراً فهي ملتقى العلم والمعرفة بعضهم مع البعض الاخر كما اختلطت عناصر السكان من عرب وفرس واهل اديان مختلفة كما كان لهذه المراكز التجارية اثرها السياسي ففيها يتلاقى الناس تحت ستار التجارة بعيدا عن اعين رقباء الولاة كما حدثت في سوق الصيارفة كونها اكثر عرضة للتبادل النقدي التجاري وهي مشهورة ومعروفة[lxxxviii].

ويعد مروان بن محمد اخر الخلفاء الامويين اول من عظم مدينة الموصل باسواقها[lxxxix] والحقها بالامصار الكبيرة فقد نظم الشوارع المؤدية الى الاسواق والحق الاسواق بالمسجد الجامع[xc] واشتهرت اسواق الموصل في عهد مروان بن محمد ببضائعها فقد جلب اليها البضائع من كل مكان[xci] لكنها تضررت من جراء الحروب مع الخوارج مما زاد الاضطراب الاقتصادي اذ قام الخليفة مروان بتاجير الاراضي لغرض بناء الاسواق للتجار مما زاد في اعمارها. لذلك حرص في سياسته بعدم اغفال عادات السكان وتقاليدهم وما يتصل بها من خدمات[xcii] نستنتج مما ورد ان ولاة الدولة الاموية في العراق حرصوا على بناء المراكز التجارية والاسواق وتنظيمها واقامة المشيدات الضرورية للتجار.

المطلب الثاني

المنشآت التجارية في بلاد الشام في العصر الاموي

1- دمشق والمدن المجاورة لها

بقيام الدولة العربية الاسلامية في العصر الاموي (41-132ه/661-749م) بدأت مرحلة جديدة من مراحل التجارة من خلال ابراز الملامح اذ توسعت الاعمال وتطورت حاجات المجتمع[xciii] فقد نشطت التجارة وازداد اهميتها ودورها في الحياة الاقتصادية لبلاد الشام في العصر الاموي فلم يعد هناك عوائق تحد من نشاطها وحركتها فقد تضافرت عوامل من اجل ازدهار التجارة في ظل اوضاع وظروف سياسية مناسبة فمثلاً من بين شروط الصلح بين المسلمين واهل (بعلبك) ان لتجارهم حرية السفر اذا ارادوا للخروج من البلاد التي جرى فيها الصلح مع المسلمين[xciv] لذلك اسهمت الدولة بتشجيع التجار والعمل على تسهيل تنقلهم مع بضائعهم من مكان الى اخر فقامت بحفر الابار وتامين المياه والطرقات[xcv] التي تربط مدن بلاد الشام والعاصمة كما اقامت الخانات في المدن لتامين الاقامة على نفقتها بشكل مؤقت ومن حسبته حاجته انفق عليه يوم وليلة[xcvi] وهذا دليل على اهتمام الخلافة الاموية بتوفير كافة وسائل الراحة وازالة العوائق امام اي تأثير يشكل خطراً على تلك المراكز.اما الشكل العام للمراكز التجارية والاسواق في مدن بلاد الشام فهي عبارة عن اسواق ودكاكين منتظمة تتركز في الحياة التجارية[xcvii].

ولم تختلف المراكز التجارية عن اسواق الامصار في تنظيمها وبنائها فكان لكل صنف سوقه الخاص به فكانت الاسواق منتشرة في كل انحاء المدينة الواحدة[xcviii] وبسبب غارات الدولة البيزنطية على سواحل الشام لم تستطع المدن الساحلية ان تبلغ حد النشاط التجاري الذي بلغته مدن الداخل من ذلك فان مناطق الشام الساحلية ظلت قادرة على البقاء في حال نشاط اقتصادي وتجاري[xcix].

وتشير المصادر الى ان هذه الاسواق لم تكن في مستوى تطور المدن الداخلية اذ اصبحت هذه اسواق عبارة عن مراكز تجارية في العصر الاموي لان الشام كانت ترتبط بطرق مواصلات برية[c] هي التي ساعدت التجارة في بلاد الشام على الازدهار والتقدم[ci].

من الواضح ان العامل السياسي هو الذي جعل من مدينة دمشق مركزاً كبيراً مهماً ولان الظروف السياسية الجديدة في العصر الاموي هي التي غيرت من سبله واتجاهات حركته في بلاد الشام لان دمشق اصبحت عاصمة الدولة الاموية ومحط للتجارة الشرقية[cii].

ويشير ياقوت (بانه يستحيل ان يطلب شيء في اسواق دمشق غير موجود حتى ان السلع الغالية الثمن التي تستورد من جميع انحاء العالم المتمدن موجودة فيها)[ciii] وهذا لا يعني ان هناك مدن ليس لها اهمية تجارية في بلاد الشام اذ عرفت مدن اخرى باهميتها التجارية والاقتصادية لا سيما (حلب) فقد اصبحت محط القوافل بحكم موقعها الجغرافي المهم في شمال بلاد الشام فقد عد الاصطرخي[civ] (مدينة حلب في العصر الاموي مركزاً مهما للتجارة لانها تقع على مدرج طريق الغور والى سائر الشامات).يبدو ان الكثير من مدن بلاد الشام العصر الاموي كانت مزدهرة باسواقها التجارية المنظمة اذ ان هذه الاسواق تتوافر فيها جميع البضائع التي يحتاجها الانسان عصر ذاك؛ وان غالبية سكانها كانوا يمارسون التجارة فهم بين تاجر مسافر الى الاقطار وبين مقيم يعامل العرب[cv].

اذ تشير المصادر ان حمص كانت ملتقى الطرق التجارية التي تتصل بالجهات الاربعة وتصل الصحراء بالبحر لا سيما البضائع الشامية فقد ازهرت اسواقها بالتجارة الحرة[cvi] ولم تكن المراكز التجارية والاسواق في بلاد الشام محصورة على مدن بعينها اذ تشير المصادر ان تجارة بيت المقدس في العصر الاموي تعد من المراكز التجارية المهمة لاسيما التي اشتهرت بالثياب فانتعشت تلك الاسواق التجارية بالكثير من البضائع الغالية الثمن.

ففي خلافة عبد الملك بن مروان وتسنمه زمام الامور بدأ بالاشراف على بناء الاسواق والمراكز التجارية عن طريق ولاته اذ عرف عنه ان يباشر الامور بنفسه[cvii].

ولا يعزو هذا العمل على العاصمة دمشق كونها مركزاً مهما من مراكز التجارة الدولية بين العاصمة والامصار الاسلامية الاخرى فقد انتشرت المراكز التجارية في كل من (قنسرين؛ وحلب؛ ومعرة النعمان) التي ارتبطت برياً بمحطات تجارية ومراكز للتبادل التجاري في انطاكية[cviii] التي كانت مركزاً للتجارة في العصر البيزنطي بوصفها كانت عاصمة للشام ومحط القوافل التجارية الاتية من الشرق؛ اذ تقلص دورها وضعفت اهميتها في العصر الاموي حيث تغيرت المفاهيم السياسية والاقتصادية بعد ان انتقلت تجارة الشرق الى دمشق العاصمة الجديدة وتحولت طرق التجارة باتجاه مدن الشام واسواقها في (صور؛ طرابلس: وعكة؛ وبيروت) فاصبحت لهذه المدن اسواقاً مزدهرة ولاسيما في بيروت[cix].

يبدو ان الاسواق التجارية الداخلية في الشام تستمر اكثر من ثلاثين الى اربعين يوماً مثال على ذلك سوق اذرعات الذي استمر قيامه حتى ما بعد العصر الاموي[cx].ان انشاء محطات تجارية على الطرق البرية في بلاد الشام يعد بمثابة انجاز عمراني يفتخر به الكثير من خلفاء بني امية الذي اهتموا بالجانب التجاري واعطوا جل اهتمامهم ببناء المراكز التجارية مثل المراكز التجارية عن طريق (طريق الرقة نصيبين؛ ومحطات تجارية بين الشامات وحوران) مما جعلها اكثر اتساعاً وعمراناً في الطرق البرية[cxi].

وتشير المصادر ان انشاء محطات ومراكز تجارية على الطرق هو جزء من الاستقرار التجاري لاسيما طريق العمران الذي يبدأ من دمشق ثم الى رصافة الشام اذ انشات محطات تجارية بطريق القريتين قرب الرصافة التي تمر بالرقة ثم شمال العراق[cxii] وترتبط تلك المحطات التجارية الواقعة بين دمشق وبادية الشام بمحطات تقع على طريق (طبرية ثم ينحرف باتجاه الساحل الى الرملة ثم الى رفح في مصر)[cxiii].

كل هذه الطرق عليها محطات تجارية انشات في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك الذي اصبح عصره عصر ازدهار التجارة والعمران التجاري فتشير المصادر ان دمشق كانت محطة رئيسية ملائمة للتجارة فهي ملتقى القوافل التجارية الآتية من اسيا الصغرى ومن مدن نهر الفرات المتجهة الى بلاد العرب[cxiv].

2- المنشأت التجارية في مصر في العصر الاموي

اختلفت عمارة المنشآت التجارية والاسواق في الفسطاط من عهد الى اخر فاسواق الفسطاط في العصر الاموي تختلف عن عصر الخلافة الراشدة لان تخطيط المدينة لم يخضع لسياسة عمرانية هندسية آنذاك وانما غلب عليها البساطة والزهد في عمرانها[cxv] فالاسواق التجارية تمتد على اكثر من الف ذراع حول المسجد اذ شيدت القيساريات والدكاكين[cxvi] فازدهرت الحوانيت وكثر بنيان القيساريات التي هي بمثابة اسواق تجارية منظمة[cxvii] ولم تظهر المراكز التجارية لشكل واضح الا بعد توافد الناس على الفسطاط فعملوا على بناء الاسواق وممارسة التجارة. فقد وجهت الدولة الاموية جل جهدها الى الاهتمام بالتجارة سواء الداخلية او الخارجية فأنشأت العديد من الموانئ الداخلية على نيل مصر واهتمت بعمرانها وعملت على توفير المواد الخام حتى تساعد على انتعاش التجارة بصفة عامة وما يعود على مصر من مرور التجارة بموانئها نتيجة لجباية اموال العشور التي كانت تؤخذ من التجار المسلمين او التجار الاجانب فكان يؤخذ منهم العشر من تجارتهم ومن اموالهم كاملاً وقد عرف هذا النظام منذ العصر الراشدي في مصر واستمر العمل به طيلة الفترة الاموية[cxviii] واشتهر وادي العلاقي في مصر بالتجارات المتعددة والاسواق العظيمة فاصبح كالمدينة العظيمة فحفرت الابار وبنيت الاسواق بانواعها فكانت تجارة التبر والمعادن من اهم التجارات[cxix] كما اشتهرت اسواق الجيزة بعد اسواق الفسطاط التي تقع بنفس المكان في قرية جميلة البنيان على النيل في مصر لها كل يوم احد سوق من الاسواق العظيمة[cxx].

وبعد اتساع خطط الفسطاط وتعدد الاسواق والسويقات حتى ان الاصطخري وصف اسواق الفسطاط آنذاك (بانها اسواق لمدينة عظيمة وكبيرة وهي على غاية في العمارة ذات رحاق في محالها واسواقها العظام ومتاجرها الفخام)[cxxi].

ولعل خير مثال على التجارة في مصر هي تجارة الاخشاب فقد تميزت بنشاط متميز في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان اذ امر والي مصر سعيد بن يزيد سنة (62ه/681م) بانشاء مركزاً تجارياً مهماً في كل من دمياط وتنيس لتسهيل التبادل التجاري في مصر[cxxii].وتعد خطة عبد العزيز بن مروان من اهم الخطط التي وضعت بالجانب التجاري فقد جعل التجارة في منزلة عالية فكانت خطة (سوق الحمام) غربي جامع الفسطاط وتسمى (المدينة) لما تمتاز به هذه المدينة من تبادل تجاري[cxxiii].ولعل الطرف الشرقي من مدينة (الاصبغ) التي تقع بالقرب من مجرى النيل القديم من مركز التجارة الهام للغلال عرفت باسم (ميدان القمح) او (ميدان الغلة)[cxxiv] اذ لهذا الميدان الاثار السياسية الواضحة لاسيما على التجارة التي اعتمدتها الدولة الاموية في استثمار موارد التجارة عن طريق زيادة نشاطها التجاري؛ الامر الذي استدعى بالضرورة بايجاد اماكن لسكن التجار الوافدين وايواء حيواناتهم التي بني لها اماكن بجوار الاسواق لتسهيل اقامة الاجانب فضلاً عن بناء اماكن لاقامة التجار المسلمين الوافدين من الامصار الاسلامية الاخرى وخير مثال مدينة (دمياط وتنيس) والتي تخرج منها المراكب التجارية العظام وتحمل من دمياط تجارة الثياب الصفاق الديبقية والثياب الثروب والقصب والقراطيس[cxxv].

وتشير المصادر ان المراكب التجارية القادمة من البحر المتوسط تتجه من تجارتها الى مدينة البرلس[cxxvi].

ويذكر ابن عبد الحكم ان موسى بن وردان والي الخليفة الوليد بن عبد الملك قد انشأ سوقاً في الفسطاط وسميت باسمه وهذا دليل على ان الخلافة كانت تشير الى ولاتها في الامصار بالشروع ببناء المركز التجارية حول مدينة الفسطاط وما جاورها فضلا عن اهتمام الخلافة بتاسيس اسواق اخرى كسوق البربر والبركة[cxxvii].

يبدو ان النشاط التجاري كان متاثراً الى حد كبير بالظروف السياسية اذ جعل الكثير من الاسواق التجارية عاجزة وغير كافية لتتعامل مع التجار فيذكر ان القيساريات التي هي عبارة عن مجمعات للاسواق والمحلات التجارية كانت متاثرة كثيراً بالظروف السياسية والتحول السياسي بعد تحول الولاية من عبد العزيز بن مروان الى سعيد بن عبد الملك فقد تاثرت الكثير من التجارات لاسيما في الاسواق التي يباع فيها البز والتي تعد جزء من سياسة العمرانية للدولة الاموية في الجانب التجاري

اذ اشتهرت المراكز التجارية الواقعة على المدن من سياسة العمرانية للدولة الاموية في الجانب التجاري اذ اشتهرت المراكز التجارية الواقعة على المدن الساحلية مثل (الفرما)[cxxviii]. بتجارة البرود والمخمل والوشى وتجارة اصناف الثياب وبها بني مركزاً تجارياً ومرسى للسفن والمراكب الواردة من الشام والمغرب[cxxix].

اما في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك فقد امر ببناء قيسارية لبيع البز الفسطاطي وكانت محلاتها تمتد من القصر الى البحر وسميت قيسارية هشام[cxxx] اذ ان الخليفة هشام امر الوالي الحر بن يوسف ببناء فنادق بجوار الاسواق التجارية سماها (النزل) خصصها لاقامة اصحاب التجارات الكبيرة والصناعات التي تحتاج الى اماكن واسعة[cxxxi]. واستاذن الوالي الحر بن يوسف الخليفة هشام بن عبد الملك ان ياذن للناس ايضاً ببناء الاسواق وكت اليها يعلمه ان النيل انكشف عن الارض وليست لمسلم ولا لمعاهد فان راى امير المؤمنين ان يؤذن بالبناء فيها فان الناس مضطرون اليها فاذن له فابتدأ بالبناء في رجب (107ه/725م) وفرغ من البناء سنة (108ه/726م) [cxxxii].

والظاهر ان سوق الفسطاط كانت عامرة بمختلف انواع التجارات والبضائع وان الخلفاء الامويين قد اعتنوا عناية فائقة بعمرانها الى جانب عنايتهم بالانتاج الزراعي والصناعي لما لهذين القطاعين من موارد مالية لها الاثر في الاستقرار الاقتصادي في مصر بعد ان ضربت الدنانير والدراهم لتسهيل عملية البيع والشراء[cxxxiii].

وخير مثال قيام الخليفة هشام بن عبد الملك ببناء المركز التجاري في مدينة (المحدثة) بمشاهدة بنو ربيعة ومصر يظاهر اسوان بعد ان اخرجهم بنو الاخيضر من ديارهم في الحجاز اذ شرعوا ببناء وعمارة المنشأت التجارية في مصر كان لها نتيجة واضحة لسياسة الامويون في هذا المجال ولا بد من الاشارة الى المعاملات التجارية والائتمانية لانها قد استخدمت بصيغتها التجارية والامنية على حد سواء وفيما يخص اسواق وتجارة المغرب لم يكن هناك ما يثير اهتمام الخلفاء الامويين لان عملية الفتح استمرت لمدة خمسة وعشرين عاماً كما ان تجارة افريقيا جنوب الصحراء وتجارة الاندلس لم تلقى اهتمام لانها اصبحت امارة مستقلة على الرغم من انها تحت حكم الامويين وتدفع خراجها الى بيت المال في دمشق.

المطلب الثالث

اهمية التجارية الخارجية للدولة الاموية

لقد استطاعت بلاد الشام من خلال نشاط سكانها واهتمامهم بمختلف مصادر الانتاج فيها، ولاسيما التجارة التي مارسها سكان الشام والامصار الاخرى بفعالية كبيرة وقاموا بتادية دور الوسيط في التجارة العالمية[cxxxiv] وهذا لا يعني ان تقدماً وازدهاراً اقتصادياً مرموقاً كان قائماً في العصر البيزنطي لان بعض العقبات والموانع كانت تحد من حركة التجارة فكان امراً طبيعياً ان تستفيد تجارة بلاد الشام وتنشيط حركتها مع سكان الامصار الاخرى وهذا لا يعني في جميع الاحوال ان حجم التجارة والتبادل التجاري كان ضئيل، بل قد تعني اموراً اخرى ومنها احدى المراكز التبادل التجاري المتبعة بين الطرفين فقد تتم عن طريق المقايضة بشكل متوازن او ربما ان العرب كانوا يبيعون اكثر مما يشترون من سكان الامصار الاخرى مع ذلك فان حركة التبادل التجاري كان ينشط الى حد كبير ما بين الدولة والامصار[cxxxv].

اذ ان صناعة المنتوجات الحريرية في الدولة البيزنطية كانت غير قادرة على ان تسد حاجة البلاد الداخلية آنذاك وبالتالي لم يكن بالامكان تلبية مطالب التجار وان بيزنطة كان تستورد المنتوجات الحريرية من العالم العربي ولهذا كانوا العرب منافسون اقوياء اكثر من البيزنطيين في تجارتهم وسلعهم[cxxxvi] الامر الذي حدد حجم التبادل التجاري بين بلاد الشام وسكان البلاد الاخرى فلم يكن ضئيلاً في العصر الاموي كذلك يستحل القول ان هذه التجارة في غاية النشاط والاهمية لان الامر الذي يستدعي ازالة الحواجز والموانع بين الدولة الاموية والامبراطورية البيزنطية وفتح الطرق امام التجار لاقامة علاقات تجارية مباشرة مع مناطق الشمال وشرق اوروبا ومهما يكن من امر فان بضائع سكان الشمال التي ترد الى العرب عبر مملكة الخز تعد جزءاً من التجارة الخارجية لذلك فان حركة التجارة بين العرب وسكان الشمال، كانت مستمرة بشكل طبيعي وانها كانت على جانب من الاهمية[cxxxvii].

وتشير المصادر التاريخية الى ان تجارة الشام مع الغرب تميزت بدور اكثر نشاطاً وازدهاراً واتصفت باهميتها الكبيرة[cxxxviii] الذي يمثل حيزاً واسعاً من حركة التجارة الدولية في العصر البيزنطي وما سبقه من عصور على مدى قرون كاملة فقد بدأ يخبو بريق ازدهار هذه التجارة وتضعف حركاتها التي اخذت بالتقلص تدريجياً في البحر المتوسط في القرن السابع الميلادي حتى اضمحلت اهميتها الى ان انهارت التجارة الكبرى لبلاد الشام مع اوروبا الغربية كلياً في النصف الاول من القرن الثامن الميلادي وذلك بسبب الظروف والاوضاع السياسية والاقتصادية التي نشأت في نطاق حوض البحر المتوسط والتي ادت في النهاية الى انقطاع العلاقات التجارية بين الشرق الاسلامي والغرب الاوروبي[cxxxix].

ومن الواضح ان العلاقات بين العرب والبيزنطيين خيم عليها منذ البداية حالة العدوة الدينية والسياسية بين الطرفين وان كان هذا الصراع يأخذ طابعاً دينياً وسياسياً ولكن ذلك لم يكن في الواقع يمثل السبب الرئيسي لهذا العداء بل انه يعود في الاصل الى اسباب اهمها اقتصادية وفي مقدمتها التجارة- فعندما استتب الامر للخليفة معاوية بن ابي سفيان الذي يعني استتباب الامر للتجارة الذي كانوا يقدرون اثر وعظمة التجارة التي تربط حوض البحر المتوسط بالشرق الاقصى فقد كانوا يدركون الخسارة التي حلت بتجارة الشام عقب الفتح العربي بعد فقدانها اسواقها في اسيا الصغرى واوروبا الغربية[cxl] فقد كان امراً طبيعياً بالنسبة للامويين ان يحاولوا ممارسة الدور ذاته وكان المهم السيطرة على التجارة العالمية وبذل اقصى الجهود بغية الوصول الى حوض البحر الابيض المتوسط لان الامويين كانوا يتطلعون للتجارة من الغرب والتوسع بتجارتهم وعقدوا العزم على ازاحة هيمنة الاسطول البيزنطي عن البحر المتوسط وبحر ا يجة ومحاولة التقدم شمالا للوصول الى طريق التجارة البرية الدولية التي تمتد من الهضبة الفارسية الى الاناضول فالى بحر ايجة وذلك لفتح ابواب اوروبا الشرقية امام تجارتهم فكان لا بد من متابعة الحرب ضد البيزنطيين الذي هم لم يتخلوا عن دورهم ورغبتهم في العودة الى القتال واسترجاع مصر والشام الضروريتان للاقتصاد البيزنطي ومع ان الحروب بين الدولة الاموية والامبراطورية البيزنطية لم تحسم ولم تسفر عن شيء ولم تؤدي الى حسم الموقف وتحقيق الاهداف التي كانوا يسعون اليها[cxli] غير ان هذه الحروب

كانت تنشب في البحار لم يكن اثرها كبير في حركة التجارة في البحر المتوسط ولا سيما في القرن الثاني الهجري فقد ظلت التجارة قائمة بين بلاد الشام والغرب على عهدها السابق كما ان الظروف والتوجهات السياسية بعد تطبيق المرسوم من خلال الاجراءات التجارية المناسبة فقد سهل الى حد كبير في استمرار حركة التجارة فلم توضع القيود وتقام العراقيل التي كان ممكناً افتعالها في وجه حركة التجارة كنتيجة للعداء الشديد بين الامويين والبيزنطيين[cxlii].

حرية التجارة واثرها على العلاقات بين الدولة الاموية والدول المجاورة

لقد تميزت عمليات الفتح العربي الاسلامي بظهور علاقات وظروف تختلف بطبيعتها وطبيعة العلاقات والظروف العربية البيزنطية التي امتدت لاكثر من نصف القرن قد وفرت لحركة التجارة في حوض المتوسط ان تسير بصورة طبيعية وسهلة وبالرغم من ان الفتوح العربية الاسلامية قد احدثت في بداية الامر بعض التغيرات الطفيفة في تجارة البحر الابيض المتوسط الا ان ذلك لم يؤدي الى انقلابات اقتصادية الى حين ذاك فلم تتوقف القسطنطينية عن التبادل التجاري مع الشام ومصر والدولة الاموية لم تتعنت بتجارتها معهم الا فيما يتعلق بتجارة الخشب اللازم لبناء السفن[cxliii].ويمكن القول انه بعد الفتح العربي الاسلامي اصبحت حرية التجارة هي السائدة في حوض البحر المتوسط، استناداً الى قانون رودس البحري الذي صدر في ذلك الوقت، والذي يتيح لربابنة السفن ان يتجهوا للحصول على شحنات لسفنهم حيث شاءوا، بعد ان كانت الدولة البيزنطية تشدد في رقابتها على اصحاب السفن التجارية سابقاً وهذا لا يعني ان الرقابة اختفت وان اشراف الدولة على البحرية التجارية في القرن الثاني الهجري اعطت العلاقات التجارية صورة واضحة عن احوال التجارة في البحر المتوسط وبدأت شيئا فشيئا الى عهد الخليفة عبد الملك بن مروانـ شرع بضرب الدينار الذهبي العربي واوقف تصدير ورق البردي من مصر الى بيزنطة، ثم ازالت من هذا الورق علامة الثالوث المسيحية وقد اراد الخليفة من وراء ذلك اقامة سلطانه على اساس سياسي اقتصادي متين الا ان الرد البيزنطي على هذا الامر كان اثاره الحرب الاقتصادية اذ عاد البيزنطيون الى نظام الرقابة على التجارة في البحر المتوسط ثم اغلقوا هذا البحر في وجه السفن والتجارة القادمة من البلاد العربية وهجر البحر المتوسط الى حد كبير بعد سنة (86ه/715م) بعد ان كان الشريان الحيوي الهام للتجارة العالمية بين الشرق العربي الاسلامي والغرب الاوروبي المسيحي[cxliv].

وقد اثار تطور هذه الاوضاع اهتمام المؤلف هنري بيرن الذي انكب على دراسة موضوع الوحدة الاقتصادية والحضارية لدول حوض البحر المتوسط من خلال نظرية صيغت بطريقة يحمل فيها المسلمين مسؤولية القضاء على معالم هذه الوحدة فهو يقول: (ان سيطرة المسلمين على السواحل الشرقية والغربي والجنوبية للبحر المتوسط قد شطروا حوض البحر الى شطرين ومزقوا وحدته الحضارية، وحطموا الوحدة الاقتصادية القديمة لدول حوض البحر المتوسط وانهم قضوا بذلك على التبادل التجاري بين الشرق والغرب)[cxlv].فانعدمت العلاقات التجارية مع اوروبا الغربية في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، اذ اختفى التجار المشارقة في المغرب واختفت كذلك السلع التجارية الرئيسية الاربعة وهي البردي واقمشة الحرير والتوابل والعملة الذهبية ويتابع المؤلف القول متهماً المسلمين بمعاداتهم للتجارة وتحميلهم مسؤولية القضاء على معالم الحياة المدنية في الغرب وقد تصدى الكثير من الباحثين هذه النظرية التي بنيت عناصرها على اسس غير موضوعية وبما تضمنته من مغالطات كثيرة.ويقول مارك بلوك[cxlvi]: (من المحتمل ان الغرب منذ اواخر عهد الامبراطورية الرومانية، كان ياخذ من الشرق اكثر مما يعطيه، وليس في هذه الواقعة ادنى شك ان التجارة كانت في عصر البيزنطيين وما بعده كانت تسير ببطء واصبحت التجارة في الاتجاهين شديدة البطء) واصابها البطء قبل وصول القوات العربية لها ولكن هذه الغزوات التي اهتم بها هنري بيرن عملت بالتطور ومنذ ذلك الحين لك يعد ينقل من الشرق الى الغرب سلع اقل حجماً فادى ذلك الى ارتفاع كبير بالبضائع كالاقمشة الثمينة والعاج والاسلحة الفاخرة والتوابل بصورة خاصة كانت هذه البضائع تاتي من الشرق ولك يكن عند الغرب شيء يماثلها ليقدمه في مقابلها فتعين عليه ان يدفع ثمن وارداته نقداً او سبائك معدنية من المعدن المضروب وغير المضروب والذي سحب من التداول تدريجياً ولاسيما التداول المحلي، ولم يكن هذا التبادل والتداول الا بمعدن الذهب باعتباره اداة للتبادل الوحيد الذي له قيمة دولية حقه[cxlvii].ويشير الباحث موريس لمبارد في نقده الهام لنظرية هنري بيرن على موضوع التبادل بالذهب وتاثيره في حركة التجارة بين الشرق والغرب فيقول: (ان تجار الشام المقيمين في الغرب كانت تجارتهم تجارة استيراد فياتون بالسلع الشرقية ويباخذون الذهب في مقابلها من الغرب).وفي الواقع فان البلاد الغربية لا تستطيع ان تقدم لدول شرق المتوسط شيئا غير الذهب فليس لها سلعة غالية او منتجات خاصة تشتهر بها او كمية ضخمة من المنتجات التي يكثر استهلاكها تصلح لتعديل الميزان التجاري الدائم من العجز عن طريق المبادلة التجارية فهي مجرد منجم للذهب يستغله اهل الشرق حتى ينضب وقد جاء الوقت الذي بدأت فيه كميات الذهب المخزون التي احتفظ بها الغرب تقل تدريجياً في القرن الثاني الهجري حتى انعدمت مناجم الذهب فكان ان انعدمت الواردات وبالتالي انحسرت التجارة الكبرى عن الغرب[cxlviii].وهكذا نرى ان حركة التجارة قد بدأت تتقلص قبل مجيء العرب وان دول الغرب التي لم يكن عندها غير الذهب الذي كانت تدفعه مقابل السلع الشرقية قد ادى ي النهاية الى نضوب هذا المعدن لديها وبالتالي فان هذا الامر ادى الى الانحطاط التجاري مع دول الغرب هذا فيما بعد ان اصبح تحت السيطرة العربية فهذا الخط البحري الهام جداً للتجارة مع الشرق يربط بلاد الشام بالهند وجزر الهند الصينية والصين[cxlix].

وتطل الشام على البحر الاحمر جنوباً الذي يعد خطا بحريا هاما للتجارة فهو يربط الشام بالمراكز التجارية الواقعة على السواحل الغربية والشرقية للبحر الاحمر فقد كان هذا الطريق ينطلق في العصر الاموي من ميناء القلزم الذي يقع في اقصى الشمال الغربي للبحر الاحمر ويذهب باتجاه الساحل الغربي الى شرق افريقيا والى الحجاز واليمن على الساحل الشرقي[cl].

وكانت (عدن) تعد نهاية لهذا الخط البحري في ذلك الوقت[cli] اما من ناحية الغرب فان واجهة الشام تشرق على البحر المتوسط، الذي يتصف باهمية كبيرة كطريق بحري رئيس وحيوي للتجارة العالمية على العموم فان حركة التجارة عبر الخط البحري الذي يمتد مسافة طويلة والذي يربط بين موقع الشام على الفرات، وبلاد الشرق الاقصى في المحيط الهندي كانت تنشط في الاتجاهين وقد استمر التبادل التجاري يسير بانتظام وبصورة طبيعية طيلة العصر الاموي[clii].لذلك ازدهرت

علاقات الشام التجارية مع المراكز الواقعة على سواحل البحر الاحمر نظرا لازدياد نشاط واهمية الحركة التجارية مع المراكز الواقعة على سواحل البحر الاحمر اذ احتفظ الامويون بوحدات بحرية في هذا البحر لحماية هذا الطريق الهام للتجارة[cliii].فقد استمرت السفن الصينية والهندية المحملة بالبضائع الشرقية تبحر باتجاه الساحل الشرقي للبحر الاحمر، فتصل مباشرة الى ميناء عدن اذ تفرغ حمولتها هناك أو تتخطى ذلك الميناء، فتبحر الى جدة الذي يعد الميناء لمكة او كانت بعض السفن القادمة من الصين والهند وغيرها من سفن الحبشة تذهب الى ميناء المدينة[cliv].

ولم تكن الكميات الكبيرة من البضائع المختلفة التي تصل الى هذه الموانئ بهدف ان يتم تصريفها في اسواق الحجار واليمن بل ان معظم هذه البضائع كانت مخصصة الى جهات اخرى تضل على شمالي هذا البحر فقد باتت البضائع تنقل الى سفن اخرى اكثر قدرة ومراسا على مواجهة اخطار الملاحة في شمالي البحر الاحمر ثم تبحر هذه السفن شمالا باتجاه ميناء القلزم الذي يقع في الطرف الشمالي الغربي للبحر الاحمر، بعد ان تفرغ حمولتها هناك تتوزع هذه البضائع على بلاد الشام ومصر[clv].يبدو ان حركة التجارة في العصر الاموي لاسيما البحر الاحمر تسير بنشاط في الاتجاهين بين المراكز القائمة على سواحل البحر الاحمر فهي لم تكن وقفاً على استيراد البضائع فقط الى ميناء القلزم، بل على تصدير البضائع لذلك يعد هذه الميناء الهام الذي يستخدمه تجار الشام ومصر في العصر الاموي بشكل دائم ويخبرنا الاصطخري[clvi] ان القلزم (فرضة مصر والشام ومنها تحمل حمولات الشام ومصر الى الحجاز واليمن وسواحل هذا البحر).

اي ان تجارة الامويين كانت عن طريق ميناء بلاد الشام ومصر على البحر الاحمر لتصدير بضائعهم الى المراكز الواقعة على سواحل هذا البحر ويتضح مما ورد ان ميناء القلزم قد اصبح ميناء مشتركا لتجارة مصر والشام في العصر الاسلامي بعد ان كانت ايلة التي تقع في الطرف الشمالي الشرقي للبحر الاحمر ميناء الشام على هذا البحر في العصر البيزنطي.

ويعود ذلك الى ان ميناء القلزم زادت اهميته بعد ان اصبح هذا الميناء بالنسبة لمصر مركزاً مهماً رئيسياً لتلقي البضائع الشرقية في العصر الاسلامي كما انه بحكم موقعه الوسط بين مصر وبلاد الشام فقد انتقلت اليه حركة النقل بشكل طبيعي تجارة سكان الشام لاسيما التجارة البرية والبحرية الهامة نحو بلاد المشرق[clvii] مما عزز علاقة الدولة الاموية التجارية مع الهند والصين فكانت تبدأ من مدينة بخارى محط السفن الذاهبة الى الهند والصين ترسوا عندها في الذهاب والاياب فيقوم العرب بالتبادل التجاري مع التجار والهنود الذين كانوا ياتون ببضائعهم الكثيرة والمتنوعة من داخل البلاد كذلك مدينة المولقان التي تقع بمجاورة نهر السند وغير بعيدة عن الديبل فهي ثغر من ثغور المسلمين الكبار ومركز هام للتجارة نظراً لوجود معبد فيها يلقى تقديساً كبيرا عند الهنود الذين كانوا يأتون من جميع انحاء البلاد للحج اليه فيحملون بضائعهم المختلفة ويقومون بالتبادل التجاري مع العرب وكانت جزيرة سيلان بموقعها الجغرافي الملائم الذي يقع وسطاً بين جزر الهند الصينية[clviii] وبلاد الصين والهند الشرقية وبين بلدان العالم الاسلامي احدى المراكز التجارية الهامة اذ يتكدس فيها منتوجات دول الشرق الاقصى فضلاً عن منتوجاتها فكانت تستقطب التجار الذي يقصدون اليها، من اماكن مختلفة للقيام بالتبادل التجاري وعقد الصفقات او لاتخاذها مكاناً لاقامة وممارسة دور الوسيط التجاري. ويظهر ان العديد من التجار العرب كانوا يقيمون في سيلان بصورة دائمية في العصر الاموي ويدل على ذلك ان ملك الجزيرة ارسل الى والي العراق الحجاج بن يوسف نساء ملمات ولدن في بلاده قد توفي ابائهن الذين كانوا تجاراً وفي اثناء سفرهم اختطفهم بعض القراصنة الهنود[clix] ويتضح ان التجار العرب استقروا في جزيرة سيلان وربما يعود تاريخ اقامتهم الى بداية العصر الاموي وقد تعطلت التجارة وتعذر نقل البضائع بسبب الظروف التي اوجبتها حروب الفتح العربي في صدر الاسلام وهذا دليل على ان التجارة قد اصيبت بالتعثر والجمود ولكن الامور تغيرت بعد ان هدأت الامور وبدأت الاوضاع تميل نحو الاستقرار باشرت القوافل التجارية المحملة بالبضائع المتنوعة القيام برحلاتها عبر طرق التجارة البرية القديمة والتي اخذت حركتها تنشط وتتكثف باستمرار وقد انطلقت تجارة الشام البرية مع بلاد الشرق في العصر الاموي ففتح المجال واسعاً امام تجار الشام لاقامة العلاقات التجارية المكثفة مع المشرق واسيا الوسطى تلك العلاقات التي كانت لها من الاهمية الكبيرة عند تجار الشام بما يحققه من ازدهار تجاري كبير وقد كان امتداد نفوذ المسلمين الى نهر سيحون، ذو فائدة كبيرة للتجارة، فقد شجع التجار على ارتياد الطريق البري الى الصين دون ان يواجهوا عقبات من قبل السلطات الرسمية او يتعرضوا لمتاعب الطريق مع ذلك فان العلاقات الدبلوماسية التي اقمها العرب منذ فترة مبكرة مع الصين كانت عاملاً مساعداً للتجارة[clx] فقد ساعدت اعمال التجار ودفعت بهم الى اقامة الصلات التجارية مع الصين وحسب التواريخ الصينية فقد سجلت تلك التواريخ وصول البعثات العربية الى الصين منذ بداية العصر الاموي[clxi] وقد بلغت حركة التجارة البرية لبلاد الشام مع الهند ومركز التجارة الشرقية في ايران وبلاد ما وراء النهر ذروتها ففي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك اتاحت العلاقات الدبلوماسية المستمرة مع حكومة الصين للتجار ان يتمتعوا ببعض المزايا والفوائد كاثر لهذه العلاقات فحكومة الصين كان من بيد تقاليدها الثابتة واعرافها الدبلوماسية، المواقعة على اقرار بمنح تجار الدول التي تقيم معها علاقات دبلوماسية حق السماح لهم بالاقامة في اراضيها وممارسة التجارة[clxii].

اما قوافل الشام التجارية المتجهة بالسلع الشرقية المختلفة الى بلاد السند والهند فكانت تلك العراق وفارس الى مدينة الديبل التي تقع على مصب نهر السند ثم تعود القوافل المحملة بالسلع المختلفة كما ان القوافل التجارية التي تحمل بضائع بلاد السند كانت تسلك طريق اخر باتجاه كابل وغزنه اذ تتفرع الطرق هناك باتجاهين. فبعض القوافل تذهباً غرباً باتجاه خراسان وبعضها الاخر يتابع شمالاً نحو بخاري محط رحال هذه القوافل فتنزل حمولتها من البضائع الهندية التي تتكدس في الاسواق فضلاً عن البضائع التي كانت تاتي من الصين عن طريق اسيا الوسطى[clxiii].

لهذا كان العديد من تجار الشام وغيرهم من البلدان الاخرى ياتون الى هذه المراكز التجارية الكبرى التي تكتظ بالبضائع ولاسيما بخارى التي كانت تتجمع فيها بمختلف انواع البضائع الشرقية للقيام بالتبادل التجاري وكان طبيعياً ان تكون علاقات الشام التجارية مع العراق مكثفة وفي قمة ازدهارها[clxiv].

بوصف ان العراق هو البلد المجاور للشام وبوابته الى الشرق فضلاً عن ان العراق كان من اكبر المراكز التجارية ومحطة

عبور لبضائع الشرق فكانت منتوجات الشرق تتكدس في البصرة والكوفة ثم تنقل هذه البضائع الى بلاد الشام[clxv] وكانت التجارة مزدهرة مع بعض المناطق القريبة من الشمال شمالاً؛ فقد كان تجار الشام يذهبون الى اذربيجان اذ كانت تزدهر حركة التجارة في اسواقها، فيقومون بالتبادل التجاري كما كانوا يتوجهون الى مدينة باب الابواب (دربند) التي تقع على الساحل الغربي من بحر قزوين[clxvi] وهي مركز هام للتجارة ويشير الاصطخري بانها (فرضة بحر الخزر من السرير والحلان وهي ايضاً فرضه جرجان وطبرستان والديلم)[clxvii] اي انها الميناء الهام الذي ترد اليها البضائع التجارية من جميع الجهات التي تحيط بحر قزوين فكان طبيعياً ان تنشط فيها حركة التبادل التجاري وكذلك فان تجار الشام يقصدون مدينة (Ayzen) الارمينية التي تعد مركزاً تجارياً مهماً وملتقى التجار[clxviii].

اما مملكة الخزر التي استمر تحالفها القديم والوطيد الذي اقامته مع البيزنطيين اعداء الامويين، قد فتح امامها الطريق الهام للتجارة مع الصين الذي يمر عبر مملكة الخزر الى مرفأ (خرسون) البيزنطي على البحر الاسود مما اوجد تلك العداوة بين مملكة الخزر ودولتهم بين جيرانهم الامويين التي كانت تقوم دولتهم على التجارة بصورة عامة[clxix].

وفي الواقع فان الخزر لم يكن لديهم منتوجات خاصة بهم تصلح للتبادل التجاري غير ان بضاعتهم الوحيدة غراء السمك فقط[clxx] اما علاقة الدولة الاموية التجارية مع اوروبا فان بضائع سكان الشمالي الشرقي في اوروبا كانت ترد اليهم عبر نهر الفولجا والبلغار[clxxi] كما ان التجار والبلغار كانوا ياتون ببضاعتهم الى مملكة الخزر عبر نهر الفولجا وكان الروس وهم جنس من الصقالية كما يسميهم ابن خرداذبة الذين يقطنون الى الغرب من البلغار يتاجرون معهم وياتون عبر نهر الدون الى مملكة الخزر[clxxii] وكانت بضاعة سكان الشمال الرئيسة هي الجلود والغراء التي تحمل الى (اتيل) عاصمة الخزر عند مصب الفولجا اذ كان اهل الشمال يملكون المستودعات[clxxiii] التي يخزنون فيها البضائع اذ يشير ابن خرداذبة ان التجار الروس كانوا بعد ان يدفعون ضريبة العشر على بضاعتهم في مملكة الخزر يقومون بنقل هذه البضاعة الى السفن ثم يسافرون في بحر قزوين باتجاه المراكز التجارية على سواحل البحر للقيام بالتبادل التجاري ولاسيما العرب في العصر الاموي[clxxiv].

نستنتج مما ورد ان الامويين اظهروا براعة ومقدرة بهذا العمل الكبير فقد احتسبوا الكيفية وعرفوا الصنعة وصاغوا الدنانير والدراهم وجعلوا من هذا العمل هداية ونجاة للمسلمين وليست بدعة وقد اجتمعت العزيمة الفذة والقدرة الفائقة كونها لا تتعارض مع مبادئ الاسلام وان الشيء الجديد المبتكر لا بد ان يحقق مصلحة ومنفعة عامة فهي كالمنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى والحق الذي لا يماري فيه الا جاحداً بهذا العمل العظيم فان الامويين جمع لهم كل ذلك العمل ليسجل التاريخ كما سجل من قبل التدوين والتعريب وسك النقود فان للتجارة حذوة كما للاعمال الاخرى ومما ساعد على انتعاش التجارة والتجار قلة الضريبة التي كانت تجبى من التجار ولا تؤخذ الا مرة واحدة في زيادة بالسنة وكان بعض منها يجبى عند المعابر والجسور[clxxv] ولم تتدخل الدولة في تسعير البضائع الا في حالات الضرورة وفي نطاق المواد الغذائية[clxxvi] وذلك لضمان استقرار السوق وتوفير الربحية للتجارة والحد من حالات الاحتكار كما تشير بعض المعلومات التاريخية عن ضريبة (المكدس)[clxxvii].

وكان للمؤسسات المالية والصيرفية دوراً هاماً في نشاط التجارة وسعتها فيذكر الدوري ان الصرافين كانوا يسلفون التجار مما زاد في تنشيط معاملاتهم وتوسيع نطاق معاملات الائتمان بل اننا نجد التعامل التجاري في بعض الموانئ كالبصرة يتم عن طريق الصرافين الذين يسددون الحسابات بين التجار دون اضطرارهم الى الدفع المباشر في كل صفقة تجارية[clxxviii] وكانت معاملات البيع والشراء تتم باستعمال العملتين الذهب والفضة وهو يدل على ان العرب اهتموا بتنظيم العقود للبيع والشراء والودائع ونظام المقايضة[clxxix] وعرف الامويون المصارف وهذه تسهم في تنشيط التبادل التجاري كما استخدم العرب قبل الاسلام نظام الصكوك وهو امر خطي يحتوي على مبلغ محدد من المال يدفع للشخص المسمى فيه[clxxx] ولعل توسيع نظام الصكوك كان معمول به في زمن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه (13ه/23م) الا ان هذا النظام تطور في عهد الخلافة الاموية لا سيما بعد ان تطور النظام المالي بعد تعريب النقود في خلافة عبد الملك بن مروان[clxxxi] والى جانب الصكوك عرب العرب استعمال السفاتج او الحوالات: وهي ان تعطي مال لاخر وللاخر مال في بلد المعطي فيوفيه له ثم يستفيد امن الطريق[clxxxii] وكانت السفاتج والصكوك تقبل من قبل التجار حتى خارج حدود الدولة الاسلامية وقام الصيارفة بدور مشهور بتيسير التعامل التجاري، حتى ان التجار لم يحتاجوا الى الدفع النقدي في بعض الموانئ واكتفوا بالصكوك والحوالات وكان الصرافون يتولون تصفية المعاملات[clxxxiii] وبذلك ظهرت حوانيت مالية اشبه بالبنوك لها فروعها في المدن لاسيما التي تشهد نشاط تجاري مثل (البصرة، والكوفة، ومكة، ودمشق، والاسكندرية) وهذا يسهم في بعث روح الثقة بين التجار مما يسهل عملية التبادل التجاري وزيادة المردود الاقتصادي للفرد والمجتمع آنذاك ومن بين الاجراءات التي اهتم بها الامويون كان لها الاثر في تطور التجارة ووجود الاسواق والاشراف على تنظيمها ومراقبة العاملين لها.

الخاتمة

من خلال البحث والدراسة تم التوصل الى مجموعة من نتائج كان ابرزها:-

1- ان موقف الاسلام من التجارة والتجار كان موقفاً ايجابياً وحث على ممارستها وتشجيعها لما لها من اثر على النشاط الاقتصادي للفرد والمجتمع.
2- مارس الخلفاء الراشدين التجارة وتعلموا من الرسول ﷺ مشروعيتها وهذا مما اعطى دفع كبير للناس لممارستها وتفضيلها على باقي المهن.

3- اكد الاسلام على مشروعية التجارة وحدد ضوابطها الشرعية للربح تفادياً لممارسة الربا الذي كان سائداً قبل الاسلام وهذا ما حدد من احتكار التجار للسلع واستغلال الناس فاسهم باستقرار الجانب المعيشي للفرد والمجتمع.
4- كان الموقع المتميز للدولة العربية الاسلامية بين دول العالم واشرافها على طرق التجارة البرية والبحرية مما اسهم في تطور ونمو التجارة العربية والعالمية.
5- ان للاستقرار السياسي في انتعاش التجارة الداخلية منها والخارجية ولاسيما في خلافة عبد الملك بن مروان وما بعده حتى نهاية عصر الخليفة هشام.
6- اثرت علاقة الامويين وصلاتهم بجيرانهم؛ من البيزنطيين؛ والهند؛ والصين؛ وفارس؛ على ميزان التبادل التجاري من والى تلك البلدان فكانت تنشط عندما تكون العلاقة ايجابية وتتراجع في حالات الحروب والمنازعات.
7- كان للاسواق وتعددها في المدن العربية الاسلامية والاهتمام بها وتطويرها اثر في انتعاش حركة التجارة.
8- ولعل تطوير نظام الصكوك والسفاتج والتسهيلات المالية والمصرفية هي الاخرى سهلت عمل التجار وزادت من توفر التبادل السلعي وتوفير الربحية للتجار.

وختاما نتمنى ان تكون قد وفقنا في تقديم فكرة موجزة عن ملامح النشاط التجاري في العصر الاموي والله الموفق.

الهوامش

[i]- ابن منظور، جمال الدين مكرم الانصاري (ت711ه) لسان العرب، طبقة بولاق، منشورات الدار المعرية العامة للتاليف والطباعة والنشر؛ ج5؛ ص156.

[ii]-هانتس؛ فالتز، مادة تجارة، دار المعارف الاسلامية الترجمة العربية، ترجمة محمد ثابت واحمد السنتثاوي وآخرون (طهران، 1933).

[iii]- ابن خلدون؛ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت808ه) (بيروت،1981) ص313؛ المقدمة دار العودة، العيثاوي؛ يحيى محمد علي؛ الجوانب الاقتصادية في مسند الامام احمد؛ ط1، (بغداد،2008)، ص351.

[iv]- ابن خلدون؛ المقدمة؛ ص313.

[v]- المصدر نفسه؛ ص432.

[vi]- الاعظمي؛ مجيد عواد؛ الكبيسي؛ حمدان؛ دراسات في الاقتصاد العربي الاسلامي، جامعة بغداد؛ مطبعة التعليم العالي؛ (بغداد،1988)؛ ص97؛ اليوزبكي؛ توفيق سلطان؛ تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المملوكي؛ نشر مؤسسة دار الكتب للطباعة (جامعة الموصل، 1975)، ص52.

[vii]- الاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت397ه) المسالك والممالك؛ تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني؛ اصدار وزارة الثقافة والارشاد القومي؛ (القاهرة، 1961) ص20.

[viii]- الهمذاني؛ ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب؛ (ت334ه) صفة جزيرة العرب؛ ط1 (لندن؛ 1968)،ص1.

[ix]- باقر؛ طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة؛ ط2؛ (بغداد؛ 1955).

[x]- ابن الورد؛ عروة ديوان عروة ابن الورد والسموءل؛ دار صادر للطباعة والنشر؛ (بيروت؛ 1944)، ص45.

[xi]- الجاحظ؛ عمرو بن بحر (ت255ه)؛ البخلاء، تحقيق طه الجابري؛ نشر دار المعارف العربي؛ (القاهرة، 1993)، ص242.

[xii]- ابن قتيبة؛ ابو عبد الله محمد بن مسلم؛ (ت276ه)، عيون الاخبار نسخة مصورة من دار الكتب نشر المؤسسة العربية للتاليف والترجمة؛ (القاهرة، 1963)، ص252.

[xiii]- ابن هشام؛ محمد بن عبد الملك؛ (ت218ه) السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا وزملائه؛ مطبعة الباب الحلبي ط2، (القاهرة، 1955)، ص4، ص11.

[xiv]- البلاذري، احمد بن يحيى (ت279ه)، انساب الاشراف؛ تحقيق محمد حميد الله؛ معهد المخطوطات؛ جامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر؛ (القاهرة؛ د.ت)؛ ج1، ص59.

[xv]- سورة قريش: الاية (1-2).

[xvi]- الاصفهاني؛ ابو الفرج (ت 356ه)، الاغاني دار الصعب للطباعة؛ بيروت؛ د.ت؛ ج19،ص75.

[xvii]- سورة المطففين الاية: (1-3).

[xviii]- سورة الاسراء (الاية:35).
[xix]- ابن حزم الاندلسي؛ ابي محمد علي بن احمد بن سعيد (ت456ه) المحلي في شرح المجلى مطبعة الامام (مصر؛ د.ت9؛ ج9؛ ص79.
[xx]- سورة الصف (الاية:10)
[xxi]- سورة التوبة (الاية:24)
[xxii]- ابن كثير؛ ابو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت774ه)؛ تفسير القرآن العظيم؛ قدم من قبل عبد الرحمن المشرعي؛ ط2؛ دار المعرفة (بيروت؛2006) ص706.
[xxiii]- الادريسي؛ الشريف ابو عبد الله بن محمد (ت560ه)؛ وصف افريقيا الشمالية والصحراوية ماخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق؛ دار الكتب العلمية؛ (بيروت،1989) ص28-30.
[xxiv]- المصدر نفسه، ص30.
[xxv]- الاصطخري، المسالك والممالك؛ ص15.
[xxvi]- لبيد ابراهيم؛ الدولة الاسلامية في العصر الاموي (بغداد؛ 1992)؛ ص248.
[xxvii]- ابن الفقيه؛ ابو عبد الله احمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني (ت318ه-930م) مختصر كتاب البلدان؛ طبعة بريل؛ (ليدن؛1885)؛ ص251.
[xxviii]- الدوري؛ عبد العزيز؛ مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي؛ دار الطليعة للطباعة؛ (بيروت؛1987) ص69-71.
[xxix]- الدوري؛ المرجع نفسه؛ ص69.
[xxx]- البلاذري؛ فتوح البلدان؛ باشراف لجنة تحقيق التراث منشورات مكتبة الهلال (بيروت، د.ت)؛ ص463.
[xxxi]- شعبان؛ عبد الحي، صدر الاسلام والدولة الاموية، دار الفكر العربي (بيروت، 1983)، ص128.
[xxxii]- اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت289ه) كتاب البلدان، مطبعة بريل (ليدن/ 1891) ص323، ابن الفقيه، ابو عبد الله احمد بن محمد بن سحاق الهمذاني (ت318ه)، مختصر كتاب البلدان، طبعة بريل (ليدن،1885)، ص119.
[xxxiii]- المقدسي البشاري، شمس الدين ابو عبد الله احمد بن محمد بن ابراهيم (ت 375ه) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (مكتبة مدبولي)، ط3، (القاهرة، 1991)، ص117.
[xxxiv]-.البلاذري؛ فتوح البلدان؛ ص349-350.
[xxxv]- المصدر نفسه، ص351
[xxxvi]- العلي؛ صالح احمد؛ خطط البصرة ومنطقتها؛ دار الطليعة، ط2، (بيروت،1969)، ص127.
[xxxvii]- العلي؛ التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري، ط2، (بيروت،1967)، ص224.

[xxxviii]- ياقوت الحموي؛ شهاب الدين ابو عبد الله (ت626ه) المشترك صنعاً والمفترق صقعاً (جو تنجن، 1848) ص392.

[xxxix]- العلي، التنظيمات؛ ص254.

[xl]- المبرد محمد بن يزيد (ت 285ه)؛ الكامل؛ المنشور في كتاب رغبة الامل من كتاب الكامل (القاهرة،19289، دار الكتب العلمية (بيروت، 1996)، ج8، ص292.

[xli]- الساداتي؛ احمد محمود؛ تاريخ المسلمين في شبه الجزيرة الهندية وحضارتهم؛ (القاهرة،1957)، ج1، ص21.

[xlii]- ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (ت182ه) الخراج ، تحقيق محمد ابراهيم، مطبعة دار الاصلاح للطباعة والنشر، ط2 (القاهرة، د.ت) ص190.

[xliii]- المسالح:- وهي المواضع التي تنفذ الى البلدان التابعة لاعداء الدولة وانها تقوم بتفتيش من يمر خلالها من تجار فمن كان معه سلاح اخذ منه، ابن رسته، ابو علي احمد بن عمر (290ه)، الاعلاق النفيسة، المكتبة الجغرافية، تحقيق دي غويه (ليدن، 1981)، ص113.

[xliv]- كاشف، السيد اسماعيل، الوليد بن عبد الملك، مطبعة الاستقامة، ط1 (القاهرة، 1962)، ص184.

[xlv]- احمد؛ لبيد ابراهيم؛ الدولة العربية الاسلامية في العصر الاموي؛ مطبعة جامعة بغداد؛ 1988؛ص253.

[xlvi]- ابن عبد ربه، ابو عمر احمد بن محمد (ت328ه)، العقد الفريد، تحقيق احمد امين وابراهيم الايباري؛ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة، 1956)، ج1، ص724.

[xlvii]- متز؛ ادم؛ الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري؛ ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة دار الكتاب العربي (بيروت، 1967) ج2،ص371.

[xlviii]- ابن عبد ربه، العقد الفريد؛ ج3،ص416.

[xlix]- الطبري؛ ابو جعفر محمد بن جرير (ت310ه) تاريخ الرسل والملوك؛ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم؛ دار المعارف (القاهرة، 1967)؛ ج4، ص191.

[l]- ابو يوسف؛ الخراج؛ ص94.

[li]- المصدر نفسه؛ ص39.

[lii]- ابن الفقيه؛ مختصر كتاب البلدان؛ ص121.

[liii]- الاصفهاني؛ ابو الفرج علي بن الحسين القريشي (ت356ه)، الاغاني، تحقيق ابراهيم الايباري، مؤسسة جمال للطباعة (بيروت، د.ت)، ج2، ص1118.

[liv]- الطبري؛ تاريخ؛ ج7< ص156.

[lv]- الاصفهاني؛ الاغاني؛ ج2،ص12.

[lvi]- ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص252.

[lvii]- خالد بن عرفطة بن ابرهة بن سنان العذري من قضاعه حليف بني زهرة استخلفه سعد بن ابي وقاص يوم القادسية شارك في الفتوح بارض السواد وقاتل الخوارج يوم النخيلة بعدما دخل معاوية بن ابي سفيان الكوفة فنزل معه الكوفة وابتنى دار فكان من رؤوس الارباع ايام الوالي زياد بن ابية

توفي سنة (61ه)؛ ابن سعد؛ محمد بن سعد بن عبد الله بن منيع الزهري، (ت230ه)، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد صامل السلمي (الطائف، 1993)، ج4، ص74، ابن حجر العسقلاني؛ شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي (ت852ه)، الاصابة في تميز الصحابة؛ مطبعة الخانجي (القاهرة؛1907)، ج1، ص409.

[lviii]- شراب، محمد محمد؛ المدينة في العصر الاموي؛ مؤسسة علوم القرآن؛ مكتبة دار التراث (بيروت، 1984)، ص87.

[lix]- الاصفهاني؛ الاغاني؛ ج12؛ ص28.

[lx]- الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت255ه)؛ البيان والتبيين، مطبعة الاستقامة (القاهرة، 1947) ج1، ص11.

[lxi]- الطبري؛ التاريخ؛ ج6؛ ص496؛ ابن الاثير؛ عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ت630ه) الكامل في التاريخ؛ دار صادر؛ (بيروت،1965.)

[lxii]- اليعقوبي؛ تاريخ اليعقوبي؛ طبعة دار صادر (بيروت؛1965)؛ ج2؛ ص294.

[lxiii]- ابن عبد الحكم؛ ابو محمد عبد الله بن عبد الحكم؛ (ت214ه)، سيرة عمر بن عبد العزيز صححها وعلق عليها احمد عبيد، دار الملايين، ط5، (بيروت، 1967)، ص69.

[lxiv]- شلبي؛ احمد؛ موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة العربية؛ ط1 (القاهرة، 1984) ص91.

[lxv]- المقدسي؛ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم؛ ص245.

[lxvi]- المالكي؛ سليمان عبد الغني؛ مرافق الحج والخدمات المدنية في الاراضي الاسلامية (القاهرة، 1987)؛ ص62-63.

[lxvii]- المرجع نفسه؛ ص63.

[lxviii]- اليعقوبي؛ البلدان؛ ص75.

[lxix]- المصدر نفسه، ص73

[lxx]- المصدر نفسه، ص74.

[lxxi]- الباذري؛ فتوح؛ ص280.

[lxxii]- حسنة؛ عمر عبيد؛ تخطيط وعمارة المدن الاسلامية، مقال منشور في مجلة الرياض المؤتمر الخامس في جامعة الملك سعود (الرياض، 1992) العدد54، ص12.

[lxxiii]- المشاري؛ د. نجم عبد الله؛ التميز بين تخطيط المدن وبنائها؛ مطبعة كلية العمارة والتخطيط جامعة الملك فيصل (الرياض، 1998)، ص36.

[lxxiv]- المرجع نفسه، ص36

[lxxv]- البلاذري؛ فتوح البلدان، ص280.

[lxxvi]- السمهودي؛ علي بن عبد الله بن احمد المصري (ت844ه) وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد؛ دار العلم (القاهرة، د.ت)؛ ج2؛ ص750-752.

[lxxvii]- بهنسي؛ عفيف؛ العمارة عبر العصور؛ دار طلاس للطباعة والنشر؛ ط2 (دمشق، 1987)، ص11-15.

[lxxviii]- ابن الفقيه؛ مختصر كتاب اللبلدان؛ ص181.

[lxxix]- ياقوت الحموي؛ معجم البلدان؛ ج8؛ ص382.
[lxxx]- ابن قتيبة؛ عبد الله ابو محمد بن مسلم (ت276ه)، عيون الاخبار ، منشورات الكتب المصرية (القاهرة، 1925)ج1، ص16، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص22-23.
[lxxxi]- بحشل؛ اسم بن سهيل بن الرزاز الواسطي (ت292ه) تاريخ واسط؛ تحقيق كوركيس عواد مطبعة العاني (بغداد، 19619،ص44.
[lxxxii]- المعاضيدي؛ عبد القادر، واسط في العصر الاموي، دار الحرية للطباعة (بغداد، 1976)، ص146.
[lxxxiii]- بخشل؛ تاريخ واسط؛ ص141-142.
[lxxxiv]- الجواهرة؛ محمد هاني؛ قراءة نقدية للعمارة الاسلامية في سيات جغرافية واجتماعية جديدة؛ المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب (الكويت، 2006)، ص69.
[lxxxv]- الريحاوي؛ عبد القادر؛ العمارة العربية الاسلامية خصائصها واثارها، دار البشائر للطباعة والنشر، (دمشق،1999)، ص78.
[lxxxvi]- البلاذري؛ فتوح البلدان؛ ص324.
[lxxxvii]- الجواهرة، محمد هاني، قراءة نقدية للعمارة الاسلامية، ص70.
[lxxxviii]- ابن الاثير، الكامل، ج5، ص53.
[lxxxix]- البلاذري؛ فتوح البلدان، ص323.
[xc]- الازدي؛ ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن قاسم (ت335ه) تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، لجنة احياء التراث، (القاهرة، 1967)، ج1، ص24.
[xci]- ابن عبد الحق؛ حقي الدين بن عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (739ه)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق علي محمد بيجاوي؛ دار احياء الكتب العربية (القاهرة،1954) ج3، ص173.
[xcii]- الازدي، تاريخ الموصل، ج1، ص167.
[xciii]- المصدر نفسه، ج1، ص167.
[xciv]- ابو حسنة؛ نافذ؛ العمارة الاسلامية في العصر الاموي، ط1، مطبعة احياء دار التراث (دمشق؛ 2002)، ص13.
[xcv]- شعبان؛ صدر الاسلام والدولة الاموية؛ ص128.
[xcvi]- المرجع نفسه؛ ص129.
[xcvii]- البلاذري؛ فتوح البلدان؛ ص .
[xcviii]- ابن الفقيه؛ مختصر كتاب البلدان؛ ص .
[xcix]- ابن عساكر، علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله (ت571ه)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي (دمشق، 1954)، ج54؛ ص166.
[c]- رحال، عاطف؛ تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الاموي، مؤسسة بيسان للنشر والطباعة، (القاهرة،20059، ص179.

[ci]- ديمو مبين، موريس، غودفرا، النظم الاسلامية، ترجمة صالح الشماع وفيصل الاحر (بغداد، 1952) ص155.

[cii]- ابن خرداذبه، ابو القاسم عبيد الله بن محمد (ت300ه)، المسالك والممالك نسخة اوفست، مكتبة المثنى عن طبعة ابريل (بغداد، 1989)، ص89.

[ciii]- ينظر خريطة رقم (1) طرق التجارة البرية والبحرية لبلاد الشام.

[civ]- تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الاموي، ص183.

-[cv] Boulos, J.les peoples etles civizations duproch orient, essai dune histories combareedes originsanos jours Beyroth, dar Aouad 1981, p64.

[cvi]- ياقوت الحموي؛ معجم البلدان؛ ج2، ص465.

[cvii]- الاصطخري؛ ابو القاسم ابراهيم بن محمد الفارسي (ت346ه) المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر الحيني، ط2، (القاهرة، 2004).

[cviii]- ياقوت الحموي؛ معجم البلدان؛ ج3، ص47.

[cix]- الريحاوي؛ سهيلة؛ مدينة حمص عند الفتح الاسلامي؛ دار الفكر للطباعة (دمشق،1998)، ص220.

[cx]- المسعودي؛ ابو الحسن علي بن الحسين (ت346ه) التنبيه والاشراف، تحقيق اسماعيل الصاوي، طبعة مصر (القاهرة، د.ت) ص289.

[cxi]- ابن حوقل؛ ابو القاسم محمد بن علي النعيمي (ت356ه) صورة الارض، دار مكتبة الحياة (بيروت،1978)، ص164.

[cxii]- كاهن، كلود، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية، ترجمة بدر الدين القاسم، ط3، دار الحقيقة (بيروت، 19839 ص150.

[cxiii]- المرجع نفسه، ص150.

[cxiv]- الاصطرخي، المسالك والممالك، ص63-64.

[cxv]- المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص176.

[cxvi]- ابن عبد الحكم، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم (ت242ه)، فتوح مصر واخبارها، مطبعة ابويل (ليدن،1907)، ص176.

[cxvii]- المقريزي، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي (ت845ه) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، مكتبة احياء العلوم، مطبعة الساحل الجنوبي (بيروت، د.ت) ج1،ص123.

[cxviii]- قدامة بن جعفر، (ت310ه) الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد (بغداد، 1981)، ص38.

[cxix]- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص76-78.

[cxx]- قدامة، الخراج، ص17.

[cxxi]- شافعي، فريد، العمارة العربية في مصر الاسلامية، الهيئة المصرية الهامة للتاليف (القاهرة،1970)، ص349.

[cxxii]- صالح، محمد امين، النظم الاقتصادية في مصر والشام في صدر الاسلام، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين الشمس،1958، ص155.

[cxxiii]- المقريزي، الخطط، ج1، ص184.

[cxxiv]- الحميري، محمد بن عبد المنعم (900ه) الروض العطار في خير الاقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، (بيروت، 19849، ص183.

[cxxv]- المسالك والممالك، ص39-42، ابن حوقل، صورة الارض، ص138.

[cxxvi]- سعيد بن يزيد بن علقمة بن عوف الازدي من اهل فلسطين تولى امرة مصر من قبل يزيد بن معاوية بن ابي سفيان بعد وفاة ابية ولم يرحب به في مصر وظلوا على الشنان له والاعراض عنه والتكبر عليه لانهم كانوا يتمنون ان يختار يزيد واحد منهم لبيعته وتوفي يزيد ودعا عبد الله بن الزبير لبيعته فبعث عبد الرحمن بن جحدم امير على مصر واعتزل سعيد بن يزيد فكانت ولايته سنتين الا شهراً واحداً، ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتايكي (ت874ه)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المعرية (القاهرة،1929)، ج1، ص157-158.

[cxxvii]- الادريسي، ابو عبد الله محمد الشريف السبتي (ت548ه)، المغرب وارض السودان ومصر والاندلس عن كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق (ليدن، 1866)، ص141-142.

[cxxviii]- اليعقوبي، كتاب البلدان، ص96.

[cxxix]- المصدر نفسه، ص96.

[cxxx]- ابن الحكم، فتوح مصر والمغرب تحقيق عبد المنهم احمد، لجنة البيان العربي (القاهرة،19569، ص157-158.

[cxxxi]- المصدر نفسه، ص134-135.

[cxxxii]- وهي المدينة التي تقع على ساحل البحر المالح وهي اول المدن القديمة التي تدخل الى مصر، اليعقوبي، كتاب البلدان، ص906.

[cxxxiii]- المصدر نفسه، ص96.

[cxxxiv]- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص145-160.

[cxxxv]- المسعودي، التنبيه والاشراف، ص295.

[cxxxvi]- الكندي، ابو عمر محمد بن يوسف (ت350ه) كتاب الولاة والقضاة، هذبه وصححه فن كيست، مطبعة الاباء اليسوعيين (بيروت، 1908)، ص74.

[cxxxvii]- ابن الاثير، الكامل، ج7، ص110.

[cxxxviii]- ابن حوقل، صورة الارض، ص38.

[cxxxix]- هايد، ف، تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى، ترجمة محمد رضا، الهيئة المعرية للكتاب (القاهرة، 1985)، ج1، ص74.

[cxl]- وهو النسيج المقصب بخيوط الحرير والذهب او ما يسمى سلعة الحرير البيزنطي، هايد، تاريخ التجارة/ ج1، ص76-79.

[cxli]- كاهن، كلود، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية، ترجمة بدر الدين القاسم، ط3، دار اليقين (بيروت، 1983)، ص150.

[cxlii]- الادريسي، ابو عبد الله محمد الشريف السبتي (ت584ه) ترجمة المشتاق في اختراق الافاق، ط1، دار عالم الكتب (بيروت، 1989)، ج1، ص370.

[cxliii]- كاهن، تاريخ العرب، ص150.

[cxliv]- المرجع نفسه، ص151.

[cxlv]- رستم، اسد، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، منشورات المكتبة البوليسية (بيروت، 1988)، ج1، ص260.

[cxlvi]- Boulos, tes people etles civillzation, vol 4, pp:243-244.

[cxlvii]- كاهن، تاريخ العرب، ص151.

[cxlviii]- ارشيبالد، لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط، ترجمة احمد عيسى مكتبة النهضة (دمشق، د.ت)، ص120-121.

[cxlix]- ارشيبالد، القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط، ص127.

[cl]- Birenne-H: Mahomet et Charlemagne. Paris 1992. Pp: 111-128.

[cli]- مارك، بلوك، مشكلة الذهب في العصر الوسيط، بحوث في التاريخ الاقتصادي، ترجمة توفيق اسكندر (القاهرة، 1961)، ص15.

[clii]- -Lombard. M:ALislam dans sa premiere grandueur, Paris, 1971, pp.33.

[cliii]--Lopbard. M:Lislam, pp231.

[cliv]- هايد، تاريخ التجارة، ج1، ص59-60.

[clv]- المرجع نفسه، ج1، ص60.

[clvi]- الاصطرخي، المسالك والممالك، ص33.

[clvii]- اشاليد، القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط، ص107.

[clviii]- المرجع نفسه، ص107.

[clix]- الاصطرخي، المسالك والممالك، ص19-20.

[clx]- هايد، تاريخ التجارة، ج1، ص52.

[clxi]- الاصطرخي، المسالك والممالك، ص33.

[clxii]- هايد، تاريخ التجارة، ج1، ص58.

[clxiii]- ابن رسته، ابو علي احمد بن عمر (ت290ه)، الاعلاق النفيسة، ط1، المكتبة الجغرافية الغربية، تحقيق دي غويه (ليدن،1890)، ص126-127.

[clxiv]- البلاذري، فتوح البلدان، ص423

[clxv]- Lombard, Lislam, p:23.

[clxvi]- العدوي، ابراهيم، الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية مكتبة الاستقامة (القاهرة،1951)، ص116.

[clxvii]- سلطان، فتحي، الاسلام وبلاد الصين، طبعة دار الفكر (بيروت،1987)، ص163-167.

[clxviii]- هايد، تاريخ التجارة، ج1، ص53-54.

-[clxix] AsThornE: Histoire des prix et de salaries dans Lorient mcdieval Paris 1969, P.235.

-[clxx] Boulos, les peoples et les civilization, Vol4, p.243.

[clxxi]- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711ه)، مختصر تاريخ دمشق لابن عاكر الطبعة الاولى، دار الفكر العربي (دمشق،1984)، ج29، ص63.

[clxxii]- المسالك والممالك، ص184.

[clxxiii]- هايد، تاريخ التجارة، ج1، ص62.

[clxxiv]- ارشيبالد، القوى البحرية والتجارية، ص129-129.

[clxxv]- الاصطرخي، المسالك والممالك، ص233-234.

[clxxvi]- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت346ه)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الاندلس للطباعة والنشر، ط3، (بيروت، د.ت) ج1، ص181.

[clxxvii]- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص132، الاصطرخي، المسالك والممالك، ص226.

[clxxviii]- هايد، تاريخ التجارة، ج1، ص78.

[clxxix]- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص132.

[clxxx]- ابو عبيد، ابو عبيد القاسم بن سلام (ت224ه) الاموال، تحقيق محمد خليل هراس، دار الشروق للطباعة (القاهرة، 19689، ص612، ابن سعد، الطبقات، ج8، ص477.

[clxxxi]- الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ط3، دار الطليعة، (بيروت، 1969).

[clxxxii]- ضريبة المكوس: وهي الضريبة التي كانت تفرض على الواردات التجارية لم تكن باهظة واعفي منها صغار التجار تشجيعاً لهم واعفيت المواشي والزروع التي ليست للايجار، ابو يوسف، الخراج، ص134-148.

[clxxxiii]- الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص71.